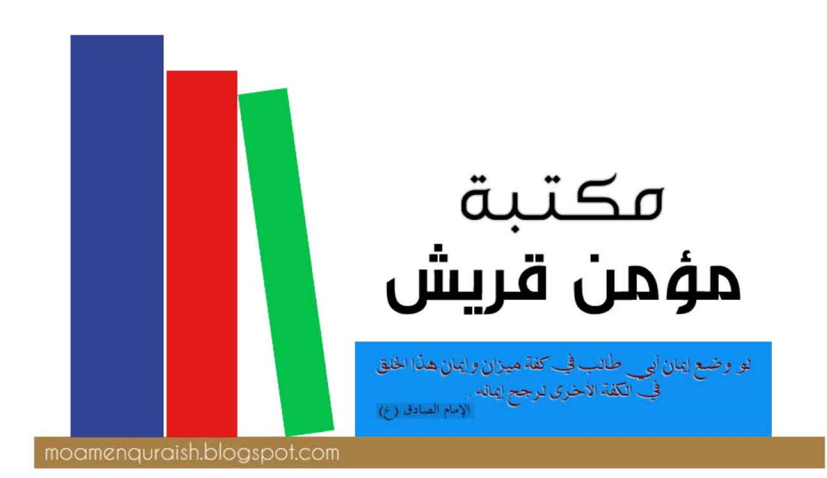
لطائف عرفانية

تحرير مصباح الهداية
إلى الخلافة والولاية للإمام الخميني قدس سره



تحرير وتقديم
السيد عباس نورالدين

مركز بـــاء للدراسات


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

لطائف عرفانية في الولاية

مركز بـــــــاء للدراسات

الكتاب: لطائف عرفانية في الولاية

تحرير مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية للإمام الخميني(قده)

بقلم: السيد عباس نورالدين

الطبعة: الأولى بيروت ٢٠٠٤م

الناشر: بيت الكاتب

بيت الكاتب للطباعة والنشر

بيروت - هاتف ٠١/٤٧٧٢٣٣ - ٠٣/٣٨٠١١٩

www.baabooks.com

لطائف عرفانية في الولاية

تحرير مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية

للإمام الخميني قدس سره

مركز بـــاء للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تقديم بقلم السيد عباس نور الدين

الحمد لله الذي جعل دينه سمحا والطريق إليه سهلا فأنار قلوب الذين قصدوه صدقا بمعرفة أسراره وجعلهم ورثة أنبيائه. وصلى الله على صاحب الصراط المستقيم الذي بلغ بقلب حريص على العالمين مقام البرزخية العظمى محمد بن عبد الله المصطفى الأمجد وعلى آله الذين حفظوا العهد معه واستقاموا على طريقته فكان الدين بهم واصبا.

1- الكتاب الذي بين أيدينا تحرير لما كتبه الإمام العارف السيد الأكبر روح الله الموسوي الخميني قدس سره في رسالة عرفانية على طريقة المحققين من أهل الله حول حقيقة الإنسان الكامل وموقعه في دائرة الوجود.

هذه الرسالة المعنونة بـ"مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية"



تحاكي في منهجها العلمي العرفان الذي تأسس وترعرع بصورته المشهورة على يد العارف الشهير محيي الدين بن العربي قبل حوالي ثمانمائة سنة. فقد استطاع هذا العارف بمواهبه الفائقة ان يطرح مجموعة كبيرة من المسائل الإلهية التي كانت من الأسرار الكامنة في الدين والشريعة، بأسلوب فريد لم يكن معهودا من قبل، وفتح باب المعارف الخاصة وفق منظومة جديدة متميزة لم تكن متيسرة داخل المدارس التقليدية لعلم الكلام والفلسفة.

وان حجم المسائل المبتكرة والأسلوب الإبداعي والسعة الهائلة التي ظهرت في العرفان المحيي الديني كانت سببا في تحويل مسيرة البحث العلمي في المسائل الإلهية بدرجة أضحت معها المناهج الأخرى تبدو قاصرة ومحدودة للغاية. ولهذا كان على كل من أراد ان يتعمق في الرؤية الكونية الإسلامية ان يطلع على المدرسة الجديدة التي وجهت الإنجازات الفكرية للباحثين والمحققين وصبغت أعمالهم بصبغتها الخاصة.

2- تدور جميع مباحث العرفان النظري حول محور التوحيد وتنبثق مسائله من مفهوم الوحدة الشخصية للوجود. وما لم تفهم هذه المسألة المركزية بالشكل الصحيح فان المسائل الأخرى تبقى في زاوية الإبهام والغموض. فالوجود عند العارف واحد بسيط غير مركب ولا متكثر ولا مشكك إلا في مظاهره واليه يرجع الأمر كله، فما من كمال أو خير أو جمال إلا وهو له بالاصالة، وما نراه في دائرة الوجود من مظاهره اللامتناهية إنما لبس كسوة الوجود مقابل العدم لأنه منه لا في مقابله كما يتوهم الجاهل. وما نراه من شر أو قبح أو نقص فمرجعه إلى



العدم الذي هو لا شيء محض، وقد اختلط على الغافل من شدة التصاق هذه النقائص بالجمال والكمال اللذين يرجعان إلى الوجود الحق. وقديما قيل ان الشر يظهر الخير والقبح يظهر الجمال والنقص يبين الكمال، وربما كان من الأفضل ان نقول العكس لان الجمال جعلنا نرى القبح والكمال عرفنا بالنقص.

أولئك الذين اطلعوا على الكمالات من زاوية أضدادها احتاجوا إلى البحث عن أصولها، والذي أضاء الله قلبه بمعرفة الجمال قبل معرفة القبح والكمال قبل النقص، وجد الكمالات كلها نابعة من أصل واحد وعلم ان أي موجود تشرف بإظهار الكمالات إنما حصل له الشرف بانتمائه إلى الوجود، ومن سلك طريق معرفة الحق بآياته وصل إلى توحيده بنفي صفاته.

3- الإنسان الكامل هو المظهر الأعظم والتجلي الاتم للوجود الواحد، وقد تشرف بهذه المنزلة من بين سائر المظاهر على اختلاف درجاتها، ولهذا استحق لقب الخليفة. فالخلافة فيه خلافة الظهور والمستخلف هو الوجود المطلق ولولاه لما عرف أحد إلهه ولاحتجبوا عنه بصفاته ومظاهره.

ورغم ان التوجه إلى الذات الإلهية كامن في أعماق الكائنات وقد فطروا عليه،إلا ان انشغالهم بمظاهرها قد أعماهم عن طلبها. فمنهم من انشغل بالمظاهر السافلة الملتصقة بالاعدام والنقائص فأعمت الأوهام بصيرته وجعلته عبدا لها. ومنهم من توجه إلى المظاهر السامية فأغشت أنوارها عينيه. والأولى هي حجب الظلام والثانية هي حجب النور وكلها حجب الحق التي تبلغ سبعين ألفا من نور

وظلمة. وقد تجلى الله سبحانه لعباده وكلمهم في ذواتهم ليعبدوه حق عبادته بتنزيهه عن مظاهره "وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه"، وليبلغوا مقام عرفانه الأسمى. وكان التجلي الاتم سبيله، ففيه تزول ظلمات الاعدام وتكشف أنوار المظاهر عن النور الأوحد " الله نور السموات والأرض" ويرجع الكل إليه و"ان إلى ربك الرجعى".

المظهر الضعيف مشغلٌ لالتصاقه بالاعدام والنقائص، والمظهر القوي صارف لشدة نوره عند الأعشى. والحجب ليست منه سبحانه بل من النظار والمشاهدين. وقد اقتضت رحمة الله تعالى ان يظهر ويتجلى لخلقه ليخرجهم من الاحتجاب في مظهر تام، يطهر المظاهر الضعيفة مما علق بها ويكشف عن ظلمة المظاهر القوية بشدة نوره وهو بعد في مقام عبوديته وفنائه.

ولم يكن سوى الإنسان الخليفة والكون الجامع الذي لمس المظاهر الضعيفة بيد جلاله **"قل إنما أنا بشر مثلكم"**، وارتفع فوق المظاهر القوية في عين هويته "ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى". ولولاه لبقي أهل الحجاب في غفلتهم ولما عرفت الملائكة المسبحة حقيقة أسمائهم، فسبحانه ما أعظم شأنه بظهوره في خليفته العظمى الذي صار برزخا بين الكون وحقيقته.

انه سر الله الأكبر الذي تنزل من مقام القرب الذي لا تبلغه الأوهام والعقول إلى عالم الاعدام والظلام وهو بعد لم يتجاف. هو الفاتح لأبواب الحقائق برمتها، وغواص بحار الرقائق بجملتها، يخاطب المحجوبين في ظلمة الدنيا ويأخذ بأيديهم إلى المقام الاسنى، وقد كشف لهم زيف ما علق بظاهر الحياة الدنيا وأبان للملكوتيين نور

الأنوار الذي منه ظهرت الأنوار بحقيقة التسبيح والتقديس والتهليل فهو منقذ الغارقين ومعلم الروحانيين.

4- لم يكشف أي علم من العلوم المتداولة عن سر الإنسان وعلاقته بتوحيد الحق تعالى كما فعل العرفان. وبكشفه عن هذه الحقيقة أظهر طريق المعرفة للعالمين. لأن الإنسان الكامل مظهر الذات الذي إذا تجلى على قلب السالك أفنى عنده كل المظاهر وأسقط كل الإضافات والحجب ليبلغ به غايته. وقد تعرض العرفاء لهذه القضية في كلماتهم ومصنفاتهم بأساليب مختلفة، كلها تدور حول تلك الحقيقة الشامخة. وقد استطاع الإمام الخميني (روحي لنهجه فدى) أن يبين المعاني والمقامات بطريقة يمكن عدها فتحا جديدا ونقلة نوعية تضاف إلى إنجازات من سبقه. وبهذا العمل الكبير تقدم بنا خطوات وأشواطاً نحو المقصد والمقصود.

من الحقيقة المطلقة انطلق ليبين معنى وحدة الوجود، فإذ بالموجودات تصبح مظاهر الحق وتعيناته يبحث كل منها عن أصله الذي بدأ منه بمقتضى الحب الذاتي الكامن في أعماقه. وأحتاج الكل إلى الهداية في البحث عن معشوقه فكان الإنسان الكامل مظهر المحبوب الأوحد "من أحبكم فقد أحب الله".

الكل يعشقه ويراه في مظاهره وخليفة الله يهدي الكل إليه.

وإذا كان العرفاء قد ذكروا حقيقة خليفة الله ومقامه الأسمى وأشاروا إلى أفراد هذه الحقيقة في كلماتهم فان الإمام أيضا قد كشف عن مكنونات طائفة من الأحاديث التي تنبيء عنهم.

هذا الخليفة هو تلك الحقيقة المحمدية وهو المقام الذي بلغه



رسـول الله (صلـى الله عليـه وآله)، فكان له بالاصـالة ولأمـيـر المؤمنين وأولاده (عليهم السلام) بالتبعية.

وبهذا الكشف ظهرت بعض مراتب الوجود وتجلت الهوية الغيبية في درجات كان يتصور انها ليست سوى الذات، وما كان يُظن انه الله تبين انـه من تجليـاته. كل ذلك بفـضل أولئك الخلفـاء الذين بلـغـوا تلك المرتبة الفائقة.

وبفضلهم أيضا سهل طريق العبودية باتضاح معالم التوحيد أكثر من أي وقت مـضـى. فـمـا كـانت النفوس والعقول تتوجـه إليـه ظننا انه المعبـود صـار مظهـرا له، وانجلت سـحـائب الشـرك الاخفى عن شـمس التوحيد الأعلى.

والذين يطالعون النصـوص العـرفـانيـة بخلفـيـة الاعـتـقـادات، ويتعـرفون على مقـام الإنسـان الكامل الذي حل بنظرهم محل المعبـود يستنكرون كلماتهم أشـد الاستنكار وقد يحـملهم ذلك على تكفيـرهم. وهم لا يدركون بأن العارف الموحد الـذي كشف عن مقـام المظهـر الأتم قد عبر مراتب الشـرك وفتح أبواب التوحيد الخالص.

ان أروع نتيـجة لكشف العـارف هي حـقـيقـة "**مـا عـرفناك حق مـعـرفتك**" وسـر "**الله اكبـر من ان يوصف**" ومعنى "**وكمال الإخلاص له نفي الصـفـات عنه**".. وهي سـر العـبـادة والمعـرفـة الحـقـة. ولم يكن بالامكان الوصول إلى هذه الحقيقة المتضمنة بقول الله اكبر إلا بمعرفة أهل البـيـت(صلوات الله عليـهم أجـمـعين) وهـي الخـلافـة المحـمـدية والولاية العلوية، ولهذا أصبـحنا نقـول: بكم عـرف الله، وقـيل لنـا "فبنا اهتدت الملائكة إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده"..

وببلوغهم (صلوات الله عليهم) ذلك المقام الشامخ عرفنا أنه مظهر الذات والهوية الغيبية لا كنهها فانطلقت ألسنتا تردد الله اكبر من كل ما توهمناه.

5- ورغم وجود الكثير من النصوص الدينية المبينه لهذه الحقائق فقد بقي عنصر التأويل غالبا عليها لأجل الحفاظ على التصور الشائع عن التوحيد. ولأن المسلمين الأوائل كانوا قد خرجوا لتوهم من أجواء الشرك والوثنية فقد سيطرت على الفكر الإسلامي الحديث آنذاك روح التنزيه والتسبيح وانحسر أي جانب قد يشم منه رائحة التشبيه وان كان حقا وتوحيدا خالصا، وذلك في ظل الاستغلال البشع للدين من قبل حكام الجور.

ولأن أكثر الأذهان لا تقدر على تصور معنى التجلي فقد حرمت من نعمة معرفة الإنسان الكامل في مقام قربه الخاص وأغلق باب معرفة الله..

وعندما جاء الوقت الذي كشف عن مقامه، انطلقت تهم التكفير والزندقة ليس ممن يتوقع منهم ذلك فحسب، بل من أولئك الذين تربوا في مدرسة التنزيه دون التجلي، نظرا إلى اعتبار كل عظيم مختصا بالله تعالى. ولهذا نجد من بين المستشرقين من يرى ان فكرة الإنسان الكامل مأخوذة من الديانات التي كانت قريبة العهد من المسلمين.

6- وإحدى الإنجازات المهمة للمسلك العرفاني تفسيره للحقائق الكبرى وفق الآيات والأحاديث الشريفة، أو بعبارة أخرى اكتشاف هذه المعارف من متن النصوص الإسلامية الأصيلة. ولكن العرفان النظري ابتلي بمجموعة من المصطلحات المبتكرة والمشتركات اللفظية التي



جعلته غريبا عن النص الأصيل نوعا ما وأدت إلى وعورة طريقه.

استخدم المحققون من العرفاء مصطلحات تشترك مع الفلسفة لفظا دون المعنى، فأوقعت من يطالع النصوص العرفانية في الالتباس والخطأ. واستخدموا العبارات المنتشرة في كلمات الوحي في العديد من الأحيان دون ضبط وتحقيق فحصل نوع أخر من الاشتراك لعله أعقد من غيره.

وبالرغم من عظمة الإنجازات،إلا ان الحاجة العلمية تقتضي المزيد من التحقيق في المشتركات اللفظية لكي لا نقع في مشكلة إسقاط التفسير العرفاني على النص الديني. فالوحي الإلهي هو الأصل والملهم دوما، ومن مصطلحاته يبنى الصرح الشامخ للمعرفة والعرفان لا من كلمات العرفاء وأقوالهم.

فإذا كان العرفان يرى في النص المصدر الوحيد للحقيقة أو التعبير الابلغ عنها، ينبغي ان يوضح الحدود الفاصلة بين مصطلحاته والتعابير الدينية الواردة في الكتاب والسنة، وبهذه الطريقة نتجنب مشكلة جعل النص العرفاني جنبا إلى جنب النص الديني والتي تولد تحول العرفان النظري إلى هدف نهائي وكمال أخير. سيبقى العرفان علما آليا لمعرفة الحقيقة الدينية وان استخدم رواده التعابير الدينية، وستبقى مصطلحاته مشتركات لفظية إلى ان يتم التحقيق فيها وفق معايير وأصول محكمة.

وان أكثر ما يحتاجه العرفان اليوم هو إصلاح منظومته الاصطلاحية لتتوافق مع حاجات فهم النص الديني أكثر فأكثر. وقد سعى الكثير من العرفاء الشامخون إلى خرق الحجب بينهم وبين



الحقيقة، وجادت أقلامهم ببيان خصائصها وأحوالها، إلا ان المؤسف في الأمر تحول مصطلحاتهم إلى حجب أخرى.

7- يعرف الحجاب بأنه ما يمنع من إدراك أو شهود الحقيقة المطلقة وإذا كان الحجاب أمرا سافلا، عد ظلمانيا. أما إذا نشأ من أمر شريف فهو حجاب نوراني. والحجب الظلمانية لا تحجب الحق عن بصيرة الإنسان فحسب، بل تحجب مظاهره وتسد طريق المعرفة بالمظاهر والآيات.

أما الحجب النورانية فخطرها من جهة تصورها غاية.

فالمحجوب بالحجب الظلمانية قابع في لجة الهجران، والمحجوب بالحجب النورانية ذاهل عن الحقيقة. ومن غير المتوقع أن يعد أهل الحجب الظلمانية ما استأنسوا فيه إلههم ولو لبثوا عليه عاكفين، إلا ان أهل الحجب النورانية يعبدون ما يرونه غايتهم.

ولهذا أشار الإمام الخميني (قده) إلى ذلك المظهر الاتم باعتبار انه الحجاب الأعظم نظرا لصعوبة تصور ما وراءه قائلا:

"إعلم.. ان هذه الخلافة من أعظم شؤونات الإلهية وأكرم مقامات الربوبية، باب أبواب الظهور والوجود ومفتاح مفاتيح الغيب والشهود، به ظهرت الأسماء بعد بطونها وبرزت الصفات غب كمونها، وهو الحجاب الأعظم الذي يعدم عنده كل صغير وكبير ويستهلك لدى حضرته كل غني وفقير". (*مصباح الهداية ص ٢٦*).

ولو اعتبرنا ان هدف الإمام من تأليف هذه الرسالة كان لأجل كشف هذا الحجاب لما بالغنا، وهو- قدس سره- لما رأى احتجاب من ينتسب إلى مسلك التأليه في اعتباره ما كان مقاما للإنسان الكامل

حقيقة الحقائق كلها، سعى لبيان المعنى وكشف النقاب مبينا ان عظم هذا الحجاب يرجع إلى عدم تصور أية حقيقة وراءه أو إمكانية الإشارة إلى شيء فوق طوره.

8- الاسم في المدرسة العرفانية هو المظهر، والتعبير اللفظي عنه هو اسم الاسم. فإذا تجلت الذات على قلب العارف شاهد أسماءها بحسب أحواله وقال هو الرحيم وهو العليم. ولهذا صح القول ان شهود الأسماء شهود للذات بقدر الاستعداد الذي يكون للعارف المكاشف.

وإذا انقطعت العلقة بين المظاهر والذات بسوء الاستعداد احتجب الخلق عن الحق وكفروا به وصاروا بأسمائه يلحدون. أما إذا قوي الشهود فان المظاهر تندك في حقيقة واحدة تختفي معها الإضافات وذلك عندما يصل السالك إلى الاستعداد التام باندكاك جبل انيته.

وقد يحصل هذا للسالكين عند نهاية سفرهم بالوصول إلى تلك الحقيقة: "**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا**" ومنهم من تتجلى لهم الحقيقة في بداياتهم "**بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم ادر ما أنت**".

فالاسم مظهره، ومظاهره الكبرى أسماؤه الحسنى، ومقام جامعيتها اسمه الأعظم الله. ولهذه الأسماء مظاهر في الحضرة العلمية هي الأعيان الثابتة التي تكون الأعيان الخارجية مظاهرها وصورها.

9- للسر معان وصور مختلفة في الأذهان ولكنه في العرفان عبارة عن الحقيقة التي إذا أذيعت انتهكت. وما لا يمكن إدراكه من قبل احد

هو سر السر. وعليه تكون بعض الحقائق أسرارا بالنسبة لطائفة ولا تكون كذلك بالنسبة لأخرى، لكونها مصونة عندها. وهتك الحقيقة الناشئ من الجهل والهوى يكون بقلب معناها، فما كان توحيدا خالصا يتصور كفرا وزندقة.

ان أعظم الأسرار التي كشفها العرفاء هي سر التوحيد الذي لا يقدر على تصوره من فقد الاستعداد ووقع في الاحتجاب. وقد قام هؤلاء بإظهار الحقيقة بألف طريقة ولم يسلموا من التهم والافتراءات التي كانت تصل في بعض العصور والأمكنة إلى حد التكفير والتشهير وإصدار أحكام الاعدام والتنكيل.

وفي هذا المجال يبرز النقاش بين المنصفين حول ضرورة كشف السر وأهميته. فمنهم من يرى وظيفته في بيان المعارف الإلهية ونشرها بأي ثمن لأن في البيان والتعليم خيرا ومصلحة تفوق أية مفسدة، ومنهم من يرى العكس ويعتمد في رأيه على وصايا وأحاديث، ومنهم من يشترط الإبهام في البيان والإغلاق في العبارة لكي لا يُطلع على المعاني إلا من عبر المقدمات.

ويبدو ان هذا النقاش المرتبط بأهم قضايا العلم والتعليم لم ينل نصيبه الكافي من البحث الجاد والتفصيلي حتى الآن.

فمن كان مستنده في المنع عن كشف الأسرار ما كان يحدث في سالف الاعصار من إهدار دم الكبار، ينبغي ان يتوجه إلى متغيرات الزمان ومقتضياته مثلما أشار العارف الكبير ابن تركه في رسالة تمهيد القواعد بقوله:

"هذا وان زماننا قد بلغ منتهى كماله وحان أوان اجتناء ثماره



وكشف القناع عن مخدرات أبكاره بما استنارت على صفحات أيامه من الآثار الموجودة في الكتب السماوية المنزلة والزبر الكشفية العالية. ولعمرنا تجد ما لا تصل إليه الأكابر إلا بعد ارتياض نفوسهم بالرياضات المتعبة الشاقة مدى الليالي والأيام قد صار مضغة للخاص والعام وما كان إفشاؤه أفتى باهراق دم الكبار قد أصبح في الاشتهار كالشمس في رابعة النهار".

ومن استند في المنع إلى أحاديث صون الأسرار عليه أن يحدد معنى هتك الأستار وهو ما نعبر عنه بطبيعة المفسدة وحجمها، لأن جميع الحقائق الإلهية والمعارف الدينية قد تتعرض في أزمان بيانها لحملات المغرضين وافتراءات المتأولين، ويضل في الحق قوم مثلما يضل في الباطل آخرون.

وأولئك الذين رأوا في بيان الأسرار العرفانية تكليفا إلهيا ومسؤولية شرعية ينبغي أن يثبتوا التكليف والمسؤولية للمتعلمين في معرفة الحقائق المنشورة.

وكل هذا وذاك لم يخضع بعد للبحث العلمي المعمق فتبقى مثل هذه الأسئلة بحاجة إلى الجواب:

أ - بعد ثبوت دور تلك الحقائق في كمال الإنسان، هل يجب عليه تحصيلها أم ان الله تعالى قد تكفل بقذفها في قلب من يشاء؟

وربما يفهم هذا المعنى من كلام للإمام الصادق (ع) عندما سئل المعرفة: من صنع من هي؟

فقال عليه السلام: من صنع الله، ليس للعباد فيها صنع. *(أصول الكافي ج١)*



ب - إذا ثبت ان تلك الحقائق كمال حقيقي للإنسان، هل يشترط الحصول عليها في دار الدنيا أم هي من العطايا الأخروية؟

ج - وهل ينحصر الوصول إلى تلك الحقائق بدراسة الآثار العرفانية أم ان الله تعالى فتح أبوابا أخرى ربما هي أكثر يسرا وأعظم هداية؟

د - هل تتوقف الاستفادة من المعارف الإلهية الخاصة على حصول الاستعداد أم أنها بنفسها صانعة للاستعداد ؟ كحال تلاوة الآيات في إيقاظ الغافلين.

هـ - لو فرضنا شرطية الاستعداد، فما هو وكيف نحدده في الأفراد؟

وأسئلة أخرى ستساهم الإجابة عنها في حل العديد من النزاعات وتوجيه الجهود العلمية نحو تحقيق الأهداف الكبرى للشريعة الإسلامية.

لقد كتب الإمام هذه الرسالة قبل خمسين سنة من انتصار الثورة الإسلامية التي قادها، وكانت طوال تلك الفترة مقتصرة على عدد قليل من الباحثين المهتمين. وعندما عرف الإمام كقائد وقدوة توجه الملايين نحو فكره وكلماته وآثاره العلمية ينهلون منها بكل شغف يرون كل ما قاله أمرا مقدسا يتعبد به. وكان لمصباح الهداية النصيب الوافر من هذا الإقبال مع تأكيد الإمام في ختامه على ضرورة عبور المقدمات اللازمة في الدراسات الحكمية لقراءته:

"وإياك وان تنظر نظر الفهم في هذه الأوراق إلا بعد الفحص الكامل عن كلمات المتألهين من أهل الرواق وتعلم المعارف عند اهلها



من المشايخ العظام والعرفاء الكرام، والا فمجرد الرجوع إلى مثل هذه المعارف لا يزيد إلا خسرانا ولا ينتج إلا حرمانا".

سعى الكثيرون للاستفادة من هذا الكتاب وربما استغل آخرون بعض كلماته للترويج لأفكار باطلة منتزعين الكلام من سياقه غير ملتفت بعضهم إلى مقدماته. ولهذا وجدتُ أن إعادة صياغة عبارات الكتاب بالتوجه إلى المعاني الكامنة قد يسهّل على طلاب الحقيقة فهم مرامه.

10- من المسائل المهمة التي ينبغي الالتفات إليها عند دراسة العرفان النظري ان حديث العرفاء عن المقام والمراتب في الوجود وفي الحقيقة يرجع إلى ادراكاتهم. فهذا التكثر في الحقيقة هو تكثر علمي لا حقيقي وهو معنى التكثر في المظاهر.

الحقيقة البسيطة الواحدة تتجلى على قلوب السالكين وتظهر في عقول الناظرين بصورة المراتب المتعددة وفي رحلة السالك نحو الوحدة يشاهد بحسب قوة إدراكه المرتبة تلو المرتبة والتجلي تلو الأخر لحقيقة واحدة لا تكثر فيها.

وان اهتمام بعض العرفاء في بيان هذه المراتب على الترتيب المنسق يرجع إلى اعتبار مراتب التجلي علامات الحقيقة الكبرى وهذا التدرج دليلا على صحة السلوك. وربما يخرج البحث عن هدفه هنا أو هناك إلا ان اهتمام الباحث في معرفة مراتب الوجود ينبغي أن ينصب على هذه النقطة الجوهرية.

هل ان كل حقيقة غائبة عن عالم الحس والمادة يعد إدراكها أو الاتصال بها دليلا على تكامل العارف؟

وإذا ذكر بعض العارفين في كتاباتهم حقائق شاهدوها في مكاشفاتهم فهل ان معرفتها تمثل شرفا وكمالا للباحث؟

يخلط العوام بين الحقيقة الشريفة والحقيقة المضلة وهذا أمر متوقع ممن لم يمتلك ميزانا للهداية. ولكن من المؤسف ان هذه الروحية الساذجة قد دخلت إلى أذهان من يفترض منهم ان يكونوا أهل الدليل والتحقيق.

ان ضعف تنظيم المطالب العرفانية أحيانا، إذا أضيف إليه حسن الظن المطلق بالعلماء والمعلومات التي تعرض في أي كتاب يحمل صبغة العرفان، أدّى إلى التساهل بشأن نوع المعرفة التي ينبغي الإطلاع عليها والانشغال بدراستها. ورغم التأكيد على ان جميع المسائل العرفانية ينبغي ان تنبثق من معرفة توحيد الحق ووحدة الوجود، إلا ان إطلاق العنان للقلم تارة وخلط المشاهدات الهادية بالمشاهدات الهامشية أخرى، جعل العديد من الأبحاث والكتابات العرفانية متضمنة لما لا ينفع ولا يهدي.

ولنضرب مثلا من عالم الطبيعة، فالعالم الذي يريد أن يسافر لاكتشاف منطقة مجهولة في بقعة من الأرض لا شك بأنه إثناء سفره سيتعرف على المعالم الرئيسية للطريق حتى إذا رجع تمكن من هداية غيره إلى المكان المقصود ولكنه أثناء سفره سيشاهد الكثير من الأشياء التي - وان كانت حقيقية واقعية - لا تفيد في تحقق السفر كما ان مشاهدة بعض الأمور الغريبة التي لا يعرفها الآخرون ولم يسمعوا بها أبدا لا يستلزم نقلها ولا يدل على السفر الصحيح.

وان أهم ما ينبغي ان يطرح في الدراسات العرفانية، بالإضافة

إلى ميزان تمييز الحق من الباطل، ميزان آخر لتحديد ما ينبغي ان يُعرف.. يقول الإمام:

"وما وقع من الشطحيات من بعض أصحاب المكاشفة والسلوك وأرباب الرياضة فهو لنقصان سلوكهم وبقاء الأنانية في سرهم أو سر سرهم فتجلى عليهم أنفسهم بالفرعونية". *(ص ٥٣)*.

ومثلما أودع الله في عالم الطبيعة من المظاهر والمخلوقات ما شاء الله مما هو في كثرته دليل عظمته، كذلك كانت عوالم الملكوت العلوي والسفلي وما فوقها حاوية لما لا يتصور من المظاهر. وكما ان الاشتغال بالكشف عن أسرار ما حوته الطبيعة لا ينفع وقد يضر أحيانا إذا صار مشغلا عن الهدف الواقعي، كذلك فان الاشتغال بمظاهر العوالم الأخرى قد يكون من هذا القبيل. ويبدو ان هذه النقطة المنهجية لم تحظ بالاهتمام الكافي بعد.ومما يجعل الامر اكثر تعقيدا الجاذبية الكبيرة لحقائق ما وراء الطبيعة وتأثيرها على حياة البشر كالإطلاع على ما في الضمائر أو ما سيجري في المستقبل الزماني. ولهذا يضل البعض ضلالا كبيرا إذا فتح عليهم باب معرفة الحوادث المستقبلة بظن ان مثل هذه المعرفة دليل خير وعلامة هداية على الطريق.

ان مجرد المطابقة بين المعرفة والواقع لا يعني ان هذه المعرفة مطلوبة أو هادية. وقد سأل ضال عن الطريق مسترشدا فقال له المرشد وما هو مقصدك؟ فقال: لا أعلم فأجابه:إذن لا يهم.

يقول الإمام:

"وأما أصحاب الطلسمات والنيرنجات وأرباب السحر والشعبذه

والرياضيات التي أصولها الاتصال بعالم الجن والشياطين الكفرة وهو الملكوت السفلي التي هي الظل الظلماني لعالم الملك مقابل الظل النوراني الذي هو الملكوت العليا عالم الملائكة تراهم لا زال في مقام إظهار سلطنتهم وإبراز تصرفهم لفرط العشق بأنانيتهم وزيادة الشوق بحيثية نفوسهم فهم عباد أصنام النفس وتابعي الجبت والطاغوت غافلون عن رب العالمين." ص٥٤

وقد جعل الله تعالى مراتب الوجود التي هي مظاهر الحقيقة الاطلاقية علامات السفر إليه تعالى بما هي تجليات الذات المقدسة والهوية الغيبية بدءا من الفيض الأقدس ومرورا بمقام الواحدية إلى عالم الأسماء والصفات ثم الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء في العلم الإلهي انتهاءا بالأعيان الخارجية. كلٌّ في عالم خاص يدل على وحدة الحق سبحانه. والعارف السالك طريق الحق والصراط المستقيم يشاهد كل الحقائق والأعيان تجليات الحقيقة المطلقة التي هي المقصد الأسمى ويغض البصر عن كل ما يشغله عنه. هذا العارف إذا اطلع على حقيقةٍ ما دون ان يراها في عين المظهرية والدلالة على الواحد الأحد يرفع بصره عنها لأنها حجاب الحق مهما كانت متنورة بالأنوار ومحاطة بالعظمة والأسرار.

ومن هنا يتبين لنا إحدى مشكلات السلوك العقلي في الحقائق الكونية لأن شأن العقل هو الانتزاع والتجزئة لتحصل له الاحاطة. ورغم ان للعقل دورا جوهريا في الجمع من خلال انتزاع الكليات من المتفرقات - ولهذا استحق ان يكون وسيلة لعبور عالم المادة والخيال - إلا انه لا ينصرف عن التجزئة في غير محلها فاحتاج الأمر إلى بصيرة



وشهود وهداية خاصة للإدراك العقلي توجهه نحو المقصد الأسمى وتمنعه من الاشتغال بكل ما يراه.

وهنا يأتي دور القلب الذي لا هم له سوى المعشوق والوصول إليه. فالحب يعمي ويصم عن غير المعشوق ولهذا يجنب صاحبه ما لا يقدر عليه العقل، في إصراره على الوصال. وعندما يتحدث العرفاء عن نقصان العقل فان ذلك بلحاظ الهدف بالدرجة الأولى لا بلحاظ حيثياته الكاشفة.

11- هدف البحث العرفاني بيان حقيقة التوحيد التي تنعدم عندها كل مسألة. وأقل ما يمكن ان يقال عن التوحيد العرفاني هو انه يتصادم بقوة مع الاعتقادات الرائجة والأفكار السائدة في حياتنا. وهذا الصدام يراه البعض وليد عدم فهم مقاصد العرفاء ومصطلحاتهم، والبعض الآخر يعده أمرا طبيعيا بالنسبة لمن لم يطو المقدمات اللازمة، ومنهم من يرجعه إلى الأهواء وسوء الاستعداد.

ومهما قيل، والكل صحيح، فان التوحيد الذي يختصر بجملة "لا موجود إلا الله" أو "لا هو إلا هو" أمر يصعب التعايش معه أو يستحيل عند من لا هم له سوى تدبير شؤون عالم الدنيا.

وقد نستدل على هذه الحقيقة بالبرهان ونعد غيرها وهما، إلا أننا نجد صعوبة في استقرارها في القلب وذلك لان الحياة الدنيا هي النقيض والضد للحياة الآخرة، باعتبار الأولى صارفة نحو الكثرات "***ألهاكم التكاثر***"، والثانية موجهة نحو الوحدة "***لمن الملك اليوم لله الواحد القهار***" وان الله تعالى بحكم "***ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه***" يريد منا ان نحدد وجهة القلب الرئيسية نحو التوحيد الخالص

"وان إلى ربك الرجعى"، ولن يتحقق هذا الأمر مع انشغال القلب بكثرات الدنيا.

فمن اتبع نداء الحقيقة في قلبه وجدها في كل شيء، تمحو ما سواها، ومن استمع إلى ألحان ترددها في النفس والآفاق شغلته عما عداها، تريد ان تزيل الأوهام والاغيار من الفعل والصفة والوجود حتى لا يبقى في الدار غيره ديار، فهي تدعو إلى الصعق ونحن منه خائفون.

"إلهي واخلصني بخالصة توحيدك واجعلني من أفضل عبيدك".

عباس نور الدين

قم المقدسة

١٧ محرم الحرام ١٤٢٥

الحمد لله المستكنّ في حجاب العماء، والمستتر في غيب الصفات والأسماء المختفي بعزّ جلاله، والظاهر بنور جماله بغير احتجاب، الذي بقهر كبريائه محجوب عن قلوب الأولياء، وبظهور سنائه يظهر في مرائي الخلفاء.

والصلاة والسلام على أصل الأنوار ومحرم سر الأسرار، المستغرق في غيب الهوية والمنمحى عنه التعينات السوائية، أصل أصول حقيقة الخلافة وروح أرواح منصب الولاية، المستتر في حجاب عز الجلال، والمخمّر بيدي الجلال والجمال، كاشف رموز الأحدية بجملتها ومظهر حقائق "الإلهية" برمّتها، المرآة الأتم الأمجد سيدنا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله الذين هم الشموس الطالعة من فلك الخلافة الأحمدية والبدور المنيرة من أفق الولاية العلوية، سيما



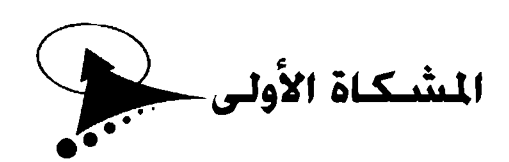
خليفته القائم مقامه في الملك والملكوت المتحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل شجرة "طوبى" وحقيقة سدرة المنتهى الرفيق الأعلى في مقام "أو أدنى"، معلم الروحانيين ومؤيد الأنبياء والمرسلين علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله وملائكته ورسله أجمعين.

وبعد، فإني أحببت أن أكشف لك في هذه الرسالة بعون الله وليّ الهداية في البداية والنهاية طليعة من حقيقة الخلافة المحمدية، ورشحة من حقيقة الولاية العلوية، وكيفية سريانهما في عوالم الغيب والشهود ونفوذهما في مراتب النزول والصعود، وأشير إلى لمحة من مقام النبوة بطريق الإجمال بل الرمز والإشارة في المقال، وأنها أيضاً سارية في العوالم دائمة باقية أزلية أبدية في مشكاتين فيهما مصابيح نورية وأنوار مضيئة.

ثم نلقي إليك حقيقة الشجرة التي نُهي عنها أبونا آدم عليه السلام، ومظاهرها بطريق الرمز في الكلام حسبما نستفيد من معادن الوحي والتنزيل ومحالّ معرفة الرب الجليل، وكيفية التوفيق بين الأخبار الواردة على اختلافها بحسب الظاهر، ثم نهدي إليك هدية عرفانية، هي كشف السر عن قوسي الوجود في سلسلتي النزول والصعود في دائرة ملكوتية يستفاد منها قوسان وجوديان ينقسمان.

وبالحري أن نسميها لطائف عرفانية في حقيقة الولاية. وأرجو من الله التوفيق، فإنه خير معين ورفيق، وأستمد من أوليائه البررة في الدنيا والآخرة.

ينبثق من المشكاة مصابيح ومن المصابيح أنوار.



فيما يستكشف من بعض أسرار الخلافة المحمدية والولاية العلوية في الحضرة العلمية.

ونبذة يسيرة من مقام النبوة بطريق الرمز والإشارة بلسان أولياء المعرفة من خلّص شيعة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم الصلاة والسلام.

وفيها مصابيح نورية تشير إلى حقائق يقينية يستفاد منها معارف إيمانية.

المصباح

إن الذات الإلهية في غيب وكمون لا اسم لها في عوالم الذكر الحكيم ولا رسم، ولا أثر لحقيقتها المقدسة بما هي هي. لا تتعلق بها آمال العارفين، وقلوب الأولياء الكاملين عن ساحة قدسها محجوبة، بل هي غير معروفة لأحد من الأنبياء والمرسلين، ولهذا فهي غير معبودة من قبل العابدين والسالكين لأن العبادة فرع التوجه والتوجه فرع المعرفة حتى قال أشرف الخليقة أجمعين: ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك.

وقد ثبت هذا في مدارك أصحاب القلوب حتى قالوا: إن العجز عن المعرفة غاية معرفة أهل المكاشفة.

ويعبّر أهل الاصطلاح عنها بالهوية الغيبية الأحدية، وعنقاء المغرب.



المصباح 2

هذه الحقيقة الغيبية بذاتها لا تنظر نظر لطف أو قهر ولا تتوجه توجه رحمة أو غضب إلى العوالم الغيبية والشهادتية من الروحانيين القاطنين في حضرة الملكوت والملائكة المقربين الساكنين في عالم الجبروت، بل هي بذاتها، أي بلا توسط شيء لا تنظر إلى الأسماء والصفات، ولا تتجلى بما هي هي في صورة أو مرآة بحيث يمكن الإشارة إليها. فالذات غيب مصون من الظهور، مستور غير مكشوف عن وجهها حجاب النور، فهو الباطن المطلق والغيب الذي لا يكون مبدأً لأي اشتقاق.

المصباح 3

لكن هذا البطون والغيب الذي نسبناه إلى هذه الحقيقة الغيبية ليس مقابلاً للظهور الذي هو من الصفات في مقام الواحدية والحضرة الجمعية. فليس هو "الباطن" الذي كان من الأسماء الإلهية وأمهات الأسماء الحقيقية.

فإن البطون أو "الباطن" تجلي ذلك المقام، وهو متأخر عن تلك الحضرة. وإن التعبير بالتأخر أو التقدم إنما هو من ضيق المجال، لأن تلك الحقيقة الغيبية لا تُقارن بشيء مهما كان هذا الشيء. فكل ما

سواها فانٍ مضمحل أمامها.

إن هذه الحقيقة التي قلوب الأولياء عن التوجه إليها محرومة، كيف يمكن أن يُعبّر عنها بما كان من مقولة المفاهيم!

المصباح 4

وعلى هذا الأساس، فإن هذه الحقيقة الغيبية غير مرتبطة بالخلق من حيث هي متباينة الحقيقة عنهم بما هم خلق، فلا سنخية بينها وبينهم أصلاً ولا اشتراك أبداً. بل الخلق حجاب الحق هنا. فإذا قرع سمعك في كلمات الأولياء الكاملين نفي الارتباط وعدم الاشتراك بل التباين بالذات، فإن كلامهم يكون محمولاً على هذا الأمر. وإذا سمعتَ الحكم بالاشتراك والارتباط، بل رفع التغاير والغيرية من العرفاء المكاشفين فإنه محمول على غير مرتبة الأحدية الغيبية.



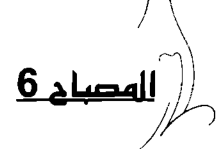
المصباح 5

ولكن أصحاب الكلام والفلسفة الرسمية ينفون الارتباط ويحكمون بالاختلاف بين الحقائق الوجودية ويعزلون الحق عن الخلق من حيث لا يشعرون. وذلك **لأنهم لا**

يشيرون إلى تلك الحقيقة الغيبية، بل مقصودهم تغاير حقيقة الأسماء وتجليات الذات مع الخلق، وما عرفوا أن هذا يؤدي إلى التعطيل عن المعرفة المقدسة ومغلولية يد الجليل سبحانه. وقد يذهبون إلى الاختلاط المؤدي إلى التشبيه غافلين عن حقيقة التنزيه.

كل ذلك يرجع إلى عدم حفظ المقامات وعدم فهم حقائق ورموز كلمات أولياء الدين وأصحاب التأويل والتنزيل.

أما العارف المكاشف والمتأله السالك سبيل المعارف فهو ذو العينين: بيمنتهما ينظر إلى الفناء والاستهلاك بل نفي الكثرة والغيرية، وبالأخرى إلى نفيه وحصول أحكام الكثرة وإعطاء كل ذي حق حقه، حتى لا تزل قدمه في التوحيد، وليكون من زمرة أهل التجريد.



المصباح 6

قد وردت أخبار كثيرة عن أهل بيت العصمة(ع) تشير إلى ما ذكرنا.

منها ما ذكره الإمام الصادق(ع):

"فاعلم، رحمك الله، أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله تعالى، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود.." [1] .

وسئل أبو جعفر الثاني(ع): يجوز أن يقال لله أنه شيء؟ فقال (ع): **"نعم، تخرجه من الحدين، حد التعطيل وحد التشبيه"** [2] .

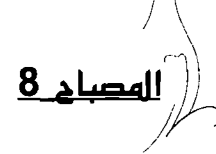
المصباح 7

إن الأسماء والصفات الإلهية أيضاً بحسب كثراتها العلمية، أي بما هي مشهودة للسالك كأسماء وصفات غير مرتبطة بهذا المقام الغيبي، غير قادرة على أخذ الفيض من حضرته بلا توسط شيء.

بل إن اسم "الله" الأعظم بحسب أحد مقاميه الذي يكون فيه مستجمعاً للأسماء استجماع الكل للأجزاء، أي مقام ظهوره في مرائي الصفات والأسماء، فإن بينه وبين تلك الحقيقة الغيبية حجاب نوري مقهور الذات.

هذا الحجاب النوري معدوم التعين مندك الأنية في الهوية الغيبية، غير موصوف بصفة. ويعد أيضاً المقام الآخر للاسم الأعظم، ويسمى بالحجاب الأكبر، وهو الفيض الأقدس من شوائب الكثرة والظهور.

وسر تسميته بالحجاب الأكبر علم من المقدمات.



المصباح 8

وإذا انكشف على سرك أن هذه الحقيقة الغيبية أجلّ من أن تنالها أيدي الخائضين أو يستفيض من جناب قدسها أحد من المستفيضين لعدم لياقته، ولم يكن أي من

الأسماء والصفات بما لها من التعينات محرم سرها، ولم يؤذن لأحد من المذكورات دخول خدرها، فلا بد لظهور الأسماء وبروزها وكشف كنوزها وحصول الاستفاضة (كيف لا، والكل عدم دون إفاضتها) من خليفة إلهي غيبي يستخلف عنها في الظهور في الأسماء ويعكس نورها في تلك المرايا، حتى تنفتح أبواب البركات وتنشق عيون الخيرات، ويتصل الآخر بالأول.

ولهذا كله صدر الأمر باللسان الغيبي من مصدر الغيب على الحجاب الأكبر والفيض الأقدس الأنور بالظهور في ملابس الأسماء والصفات ولبس كسوة التعينات، فأطاع أمره ونفذ رأيه.



المصباح 9

هذا الخليفة الإلهي المعبر عنه بالحقيقة القدسية التي هي أصل الظهور لا بد وأن يكون لها وجه غيبي إلى الهوية الغيبية، ولا يظهر بهذا الوجه أبداً، ووجه إلى عالم الأسماء والصفات، وبهذا الوجه يتجلى فيها، ويظهر في مراياها في الحضرة الواحدية الجمعية.

بل يمكن القول أن لكل مرتبة من مراتب التجلي وجه إلى الغيب لا يظهر به أبداً على ما دونه.

المصباح 10

أول من يستفيض من حضرة الفيض الأقدس والخليفة الكبرى هو حضرة الاسم "الله" الأعظم بحسب مقام تعينه، باستجماع جميع الأسماء والصفات ومقام ظهوره في جميع المظاهر والآيات. فإن التعين الأول للحقيقة اللامتعينة هو كل التعينات والظهورات مستجمعةً. ولا يرتبط أي واحد من الأسماء والصفات بالفيض الأقدس إلا بتوسط الاسم الأعظم على الترتيب المنسّق: كل حسب مقامه الخاص به.

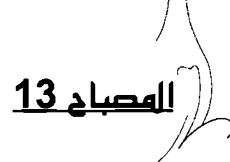


المصباح 11

أول ما ظهر من مظاهر الاسم الأعظم مقام الرحمانية والرحيمية الذاتيتين: **"ورحمتي وسعت كل شيء"**. وهما من الأسماء الجمالية الشاملة لكل الأسماء. ولهذا سبقت رحمته غضبه. وبعدهما الأسماء الأخرى من الأسماء الجلالية على حسب مقاماتها.

المصباح 12

خلافة الفيض الأقدس عن الذات هي الخلافة في الظهور والإفاضة والتعين بالأسماء والاتصاف بالصفات من الجمال والجلال، لاستهلاك التعينات الصفاتية والأسمائية في حضرة الذات واندكاك كل الإنيات في مقام غيبه وعدم حصول حكم لواحد منها عندها وعدم الظهور لها في أي منها. فكل تعيّن وظهور للخليفة لا ينسب إلى الحضرة الغيبية أبداً.



المصباح 13

هذا الخليفة الإلهي ظاهر في جميع المرائي الأسمائية، ينعكس نوره فيها حسب قبول مرائيها واستعداداتها، سارٍ فيها سريان النفس في قواها، متعيّن بتعيناتها تعين الحقيقة اللابشرطية مع المخلوطة. فهي معها وليست هي. ولا يعلم كيفية هذا السريان والنفوذ ولا حقيقة هذا التحقق والنزول إلا الخلّص من الأولياء الكاملين والعرفاء الشامخين الذين يشهدون نفوذ الفيض الاطلاقي المقدس وانبساطه على هياكل الماهيات بالشهود الإيماني والذوق العرفاني.

والمرقاة نحو هذه المعارف، بل كل الحقائق هي معرفة النفس. فإنها

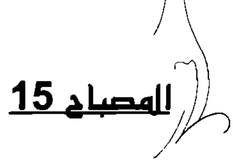
مفتاح المفاتيح والآية الكبرى والمثال الأكبر لذلك السريان. ولهذا من عرفها فقد عرف ربه.



المصباح 14

أول تكثر وقع في دار الوجود هو هذه الكثرة الأسمائية والصفاتية في الحضرة العلمية ومقام الواحدية الجمعية. وذلك بظهور الخليفة الإلهي في صور التعينات الأسمائية وتلبسه بلباس الكثرات واكتسائه بكسوة الصفات.

هذه الكثرة هي مبدأ مبادئ كل كثرة وقعت في العين وأصل الاختلافات الحاصلة بين مراتب الوجود في الدارين.

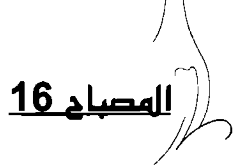


المصباح 15

كل اسم كان أفقه إلى أفق الفيض الأقدس أقرب، كانت وحدته أتم وجهة غيبه أشد وأقوم، لأن أفق الفيض الأقدس هو الغيب والوحدة، ولهذا تكون جهات الكثرة والظهور فيه أنقص وعن أفقها أبعد. وعلى سبيل التعاكس، كلما بعُد عن حضرته ورفض مقام قربه، كانت الكثرة فيه أظهر وجهات الظهور أكثر.

ومن هذا، ينكشف لقلب كل عارف أن الاسم الأعظم المستجمع

لجميع الأسماء والصفات مع اشتماله على الكثرات واستجماعه للرسوم والتعينات فإنه أقرب إلى الوحدة. وأن هذا الاشتمال منزه عن الكثرة الحقيقية من وجه، بل حقيقته متحدة مع الفيض الأقدس الذي هو مقام الغيب المشوب مقابل الغيب المطلق الذي هو للهوية الغيبية. وعليه يكون اختلاف الاسم الأعظم مع الفيض الأقدس بمحض الاعتبار، كاختلاف المشيئة والفيض المقدس مع التعين الأول المعبر عنه في لسان الحكماء بـ"العقل الأول".



المصباح 16

وقد يظن بسبب هذا البيان أن سائر الأسماء الإلهية غير جامعة لحقائق بعضها البعض، وأن كل اسم ناقص في تجوهر ذاته. ولكن هذا ظن الذين حُجبوا عن أنوار وجهه الكريم.

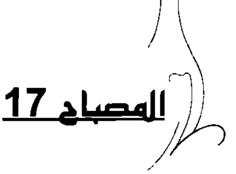
فالإيمان بالأسماء يعني أن تعتقد أن كل اسم منها جامع لجميع الأسماء مشتمل على كل الحقائق. كيف لا، وهي متحدة الذات مع الذات المقدسة، والكل متحد مع الكل، فاتحاد الأسماء مع الذات يستلزم اتحاد كل اسم مع الكل.

وأما قولنا أن الاسم الكذائي من أسماء الجلال، وذاك من أسماء الجمال، وهذا "الرحيم الرحمن" وذلك "القهار الجبار"، فهو باعتبار الظهور على القلوب. ويكون ما يقابله عندها باطناً فيه. "فالرحيم"

تكون الرحمة ظاهرة فيه والسخط باطناً فيه. والجمال بطون الجلال والجلال بطون الجمال باعتبار الشهود لا الحقيقة. وكذا "الأول" في "الآخر" و"الآخر" في "الأول".

وأما الاسم "الله" الأعظم، رب الأسماء، فهو في حد الاعتدال، وله البرزخية الكبرى: لا الجمال يغلب جلاله ولا الجلال يغلب جماله حين شهوده، ولا الظاهر حاكم على باطنه، ولا الباطن على ظاهره، فهو الظاهر في عين البطون، والباطن في عين الظهور.

وهذا باب واسع للمعرفة!



المصباح 17

وعليه، يكون التعبير بـ"التعين" و"الشمولية" و"المحيطية" و"المحاطية" لضيق العبارة عن درك الحقيقة وقصور الإشارة.

والخطر الكبير الذي يحدق بكل طالب لهذه العلوم الإلهية هو الوقوف عند المعاني العرفية لهذه الاصطلاحات، حيث يؤدي إلى الكفر بأسماء الله والبعد عن ساحة قدسه.

إن الألفاظ والعبارات حجب الحقائق والمعاني، والعارف الرباني لا بد وأن يخرقها، وينظر بنور القلب إلى الحقائق، وإن كان في بدو الأمر محتاجاً إليها. مثلما أن الحواس الظاهرة مرقاة للمعاني العقلية والحقائق النورية.



المصباح 18

ومن تدبر في الآيات الشريفة في آخر سورة "الحشر" وهي قوله تعالى: ﴿***هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم***﴾. يعلم كيف حكم تعالى شأنه باتحاد حضرة الإلهية "**الله**" مع غيب الهوية "هو" باعتبار اندكاكها في ذاته واستهلاكها في إنيته: هو الله.

ثم حكم تعالى شأنه باتحاد الصفات الجمالية والجلالية والأسماء الذاتية والصفاتية والأفعالية مع الذات الإلهية.

المصباح 19

قال الشيخ العارف القاضي سعيد القمي (رضوان الله عليه) في كتابه البوارق الملكوتية:

"من المتضح عند أهل الذوق الأكمل والمشرب الأسهل أن "الله" اسم جامع لحقائق جميع الأسماء الإلهية. لست أعني أن غيره لا يتضمن سائر الأسماء، إذ لا ريب عند أهل الذوق أن كل اسم إلهي يتضمن

جميع الأسماء الإلهية، فإن كل اسم ينعت بجميع النعوت إلا أن ها هنا مراتب؛ أحدها: مرتبة السدنة والرعايا. والثانية: مرتبة الرؤساء والأرباب؛ والثالثة: الملك والسلطان. فللاسم "الله" هذه المرتبة الأخيرة، ولهذا اختص بالجامعية".



المصباح 20

إن هذا الترتيب لا يرجع إلى حقيقة كل اسم، بل إلى ظهوره. وبعبارة أخرى، إن العارف المكاشف أثناء صعوده ذرى الشهود تتجلى له الذات في مظاهر الأسماء، فيرى بعضها حاكماً والبعض محكوماً، وقد تظهر له بصورة الجمال فيستتر الجلال، أو بصورة الجلال فيختفي الجمال، حتى يصل إلى شهود الاسم الأعظم بصورة لا يغلب الظهور على البطون ولا البطون على الظهور، ولا الجلال على الجمال ولا الجمال على الجلال. ولعله بسبب هذا الشهود الأخير حُفظ لكل اسم مقامه.

فإن مظهرية كل شيء للاسم "الله" الأعظم، مع اختصاص كل مربوب باسم، ليس إلا من جهة أن كل اسم يستكن فيه كل الأسماء والحقائق.



المصباح 21

وحيث أن التكثر الواقع في الحضرة الواحدية ومرتبة الألوهية هو من تجلي الفيض الأقدس في صور الأسماء والصفات وانعكاس نوره في مرائيها، فيكون لهذه الأسماء وجهان: وجه إلى أنفسها وتعيناتها، وبه تظهر أحكام الكثرة والغيرية. ووجه إلى حضرة الغيب المشوب ومقام الفيض الأقدس الفاني في الذات الأحدية والمستهلك في غيب الهوية، وبهذا الوجه تكون كلها فانية في الذات مقهورة الإنية تحت كبرياء الأحدية غير متكثرة الهوية والماهية.

المصباح 22

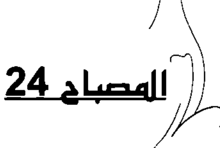
إذا عثرت على آثار من معادن الحكمة ومحال المعرفة تنفي الصفات عن حضرة الذات، كقول أمير المؤمنين(ع): "**وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه**" فاعلم أن المقصود هو نفيها عن تلك الهوية الغيبية الأحدية بما هي.

وإذا رأيت إيقاع الصفات على الذات في التنزيل العزيز وفي أحاديث المعصومين(ع)، فاعرف أن هذا بحسب الظهور بفيضه الأقدس في حضرة "الواحدية" ومقام الإلهية الجمعية.

المصباح 23

إن من يذهل عن ذاك المقام الذي هو مقام نظر العرفاء العظام قد يحكم بنفي الصفات الثبوتية عن الحق جل شأنه، ويقول بأن الصفات كلها ترجع إلى معانٍ سلبية، وينكر عينية الصفات للذات. بل قد يصل به الأمر إلى القول بالاشتراك اللفظي بين الأسماء الإلهية والخلقية والصفات الواقعة على الحق والخلق.

وهناك من يفسر الخبر: "إن الله لا يوصف" بأن الوصف أعظم الحدود للشيء في المعاني، ولا إحاطة أوضح من إحاطة الصفة في العوالي. فالوصف تحديد، والله غير محدود فلا يوصف!.



المصباح 24

فمن جملة ما قالوا في الصفات الذاتية أنها ترجع إلى سلب نقائصها. وساقوا لإثبات هذا المطلب برهاناً مفاده: "قد بيّنا أن تلك المفاهيم التي عندنا أمور وجودية، وأنها لا سبيل لها إلى حضرة الأحدية تعالى شأنه. فالذي عند الله جل جلاله منها لو كانت على المعنى الذي يليق بعز جلاله، أمور وجودية، ولا ريب أنها صفات. وأن الصفة ما يكون معه الشيء بحال. وكل ما

يكون معه الشيء بحال، يكون لا محالة غير ذلك الشيء بالضرورة. وكل ما يكون غير المبدأ الأول وكان أمراً ثبوتياً فهو معلول لله" .



المصباح 25

إن المصابيح السالفة أشارت إلى كيفية عينية الذات والصفات والأسماء. وأن الصفات لم تكن من قبيل الحالات والعوارض الزائدة عليها، بل هي عبارة عن تجليها بفيضها الأقدس في الحضرة الواحدية وظهورها في الكسوة الأسمائية والصفاتية.

وحقيقة الأسماء بباطن ذاتها هي الحقيقة المطلقة الغيبية.

وبالرجوع إليها نعرف أن ما ساقوه كبراهين إنما يرجع إلى المناقشة اللفظية والمباحثة اللغوية التي هي من وظيفة علماء اللغة. وليس للعارف الكامل شأن معها، فإنها الحجاب عن معرفة الله والقاطع لطريق السلوك إليه.

فلقائل أن يقول: إنكم بعد أن فررتم من الاشتراك المعنوي بين الحق والخلق، وجعلتم التنزيه ملاذ التشبيه، ما الذي دعاكم إلى أن الصفة ما معه الشيء حال؟

في أي موطن من المواطن حصل، وفي أي موجود من الموجودات وجد؟

أبمجرد أن الصفة في الخلق كذلك، وليس مطلقاً بل فقط في عالم

المادة والهيولى؟

هل هذا إلا التشبيه الذي وردت الأخبار الصحيحة بل الكتاب العزيز على نفيه؟

وقد فررتم منه حتى وقعتم في نفي الصفات التي قال الله تعالى في حقها:

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾.

وقال تعالى:

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾.

وفي الصحيفة السجادية التي هي زبور آل محمد (عليهم السلام) يقول:

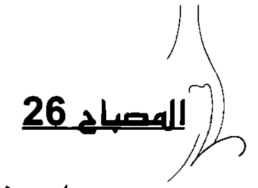
"**ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك النعوت**".

فانظر إلى لطافة البيان كيف أثبت الصفات واستهلكها في الذات الأحدية. وهذا غاية بحث أصحاب الحكمة ونهاية شهود أرباب المعرفة. وفي كلماتهم (عليهم السلام) إشارات ورموز لا تبلغ دقائق الحكم عشر معشارها، ولا تصل إلى خردلة منها مشاهدات أرباب الهمم.

أوليس المراد من عينية الصفات للذات المقدسة إلا أن الوجود الحقيقي بأحدية جمعه تصلح فيه المتغايرات وتجمع فيه الكثرات بالهوية الوحدانية الجمعية المنزهة عن شائبة الكثرة؟

وقد قال صدر المتألهين في إفادة هذا الأمر العظيم الذي كان العلم به من أجلّ المعارف الإلهية: "أن بسيط الحقيقة كل الأشياء بالوحدة الجمعية الإلهية". وقال العرفاء الكاملون: أن الذات الأحدية تجلت بالفيض الأقدس وهو الخليفة الكبرى في الحضرة الواحدية، وظهر في كسوة الصفات والأسماء، ولم يكن بين الظاهر والمظهر اختلاف إلا بالاعتبار.

وما تقدم في المصابيح شافٍ لدفع تلك الشبهات.



المصباح 26

إن هذه الخلافة من أعظم شؤون الألوهية وأكرم مقامات الربوبية، باب أبواب الظهور والوجود، ومفتاح مفاتيح الغيب والشهود، وهي مقام "العندية" التي فيها مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو. بها ظهرت الأسماء بعد بطونها، وبرزت الصفات غبّ كمونها.

وهي الحجاب الأعظم الذي يعدم عنده كل صغير وكبير، ويستهلك لدى حضرته كل غني وفقير، والفضاء اللامتناهي الذي فوق العرش، الذي لاخلأ فيه ولا ملأ. وسبحات وجهه التي لو كشفت الحجب النورانية لأحرقت ما انتهى إليه بصره.

"قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي".

فكيف بمبدأ الكلمات ومصدر الآيات!.

فإن أبحر الوجود وأقلام عالم الغيب والشهود تعجز عن وصف تجلٍ من تجلياته، بهر برهانه وعظم سلطانه.



المصباح 27

هذه الخلافة هي روح الخلافة المحمدية وربها وأصلها ومبدؤها. منها بدأ أصل الخلافة في العوالم كلها. وقد ظهرت تمام الظهور في حضرة الاسم "**الله**" الأعظم، رب الحقيقة المحمدية المطلقة وأصل الحقائق الإلهية الكلية.

فهي أصل الخلافة والخلافة ظهورها، بل هي الظاهرة في هذه الحضرة لاتحاد الظاهر والمظهر، كما أشار إليه الوحي الإلهي إشارة لطيفة لقوله تعالى: ﴿*إنا أنزلناه في ليلة القدر*﴾. حيث قال العارف الكامل الشاه آبادي: إن "هاء" أنزلناه إشارة إلى الحقيقة الغيبية النازلة في البنية المحمدية التي هي حقيقة ليلة القدر.



المصباح 28

وقد عرفتَ أن ارتباط الأسماء الحسنى والصفات العليا بهذه الخليفة ارتباط افتقار ووجود، كما أن ارتباط الخليفة بها ارتباط تجلٍ وظهور. وذلك لأن الحقيقة الإطلاقية

الغيبية لا ظهور لها بحسب حقيقتها، وكل ظهور في عالم الوجود وإن كان منها إلا أنه ليس هي، فلا بد لظهورها من مرآة تتجلى فيها. فالتعينات الصفاتية والأسمائية مرائي ذلك النور العظيم ومحل ظهوره.

المصباح 29

وكما أن الصور المنعكسة في المرائي الحسية تتشكل لشكلها من الاستدارة والاستقامة، وتتلون بلونها من الحمرة والصفرة، وتختلف بحسب كدورتها وصفائها، رغم أن جميع هذه الاختلافات ليست لذي الصورة، بل ترجع إلى اختلاف المرائي.. كذلك وجه الحضرة الغيبية انعكس في المرائي الأسمائية، مع عدم تعينه بذاته لعدم ظهوره بذاته، يتعين بتعينات الأسماء والصفات، ويتلون بلونها، ويتجلى فيها بمقدار صفائها، ويظهر فيها بحسب استعداداتها. فيكون مع "**الرحيم**" رحيماً، ومع "**الرحمن**" رحماناً، ومع "**القهار**" قهاراً، إلى غير ذلك..

المصباح 30

إن الأسماء الإلهية في الحضرة الواحدية، مع كونها مظهراً لهذه الحقيقة الغيبية والخليفة



الإلهي حجب نورية عن حقيقتها، كلٌّ حسب درجته، وذلك لأن الشاهد قد يرى فيها نهاية الألوهية وغاية الوحدانية.

فهذه الحقيقة محتجبة دائماً في الأسماء والصفات، ولهذا فهي مشهودة بعين شهود الأسماء، ظاهرة بعين ظهورها مع اختفائها فيها وبها. كما أن النور الحسي (الضوء) مع أنه مُظهر للسطوح، غير مشاهد بحقيقته ونفسه، بل بالسطوح والأجسام.

وكما أن المرآة تُظهر الصور المنعكسة فيها فهي محجوبة بها. فالصورة المرآتية مع كونها ظهور المرآة، مختفية فيها المرآة وهي غير ظاهرة في موضع انعكاسها مع كون الصورة هي المرآة الظاهرة بتلك الصورة.

فالحقيقة الغيبية أيضاً مع كونها ظاهرة بنفس ظهور الأسماء فهي مختفية فيها وبها اختفاء المرآة في الصورة. فالأسماء والصفات من الحجب النورية التي جاءت في الحديث:

"**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة**".

وها هنا أسرار لا رخصة في إظهارها.



المصباح 31

قد جاء في الحديث أن رسول الله(ص) سئل: "أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال (ص) ما حُكي عنه: "**كان في عماء**".

وقد اختلفت كلمة الأصحاب في حقيقة العماء.

فقيل هي الحضرة "الأحدية" لعدم تعلق المعرفة بها، فهي في حجاب الجلال.

وقيل هي "الواحدية" لأن العماء هو الغيم الرقيق الحائل بين السماء والأرض، وهذه الحضرة واسطة بين سماء الأحدية وأرض الكثرة.

ونحن نقول: يشبه أن تكون حقيقة "العماء" حضرة الفيض الأقدس والخليفة الكبرى، فإنها الحقيقة التي لا يعرفها بمقامها الغيبي أحد، ولها الواسطة بين حضرة الأحدية وحضرة الواحدية التي تقع فيها الكثرة اللامتناهية.

وإنما لم نحملها على الحقيقة الغيبية لأن السؤال عن الرب.

وهذه الحقيقة غير موصوفة بصفة كما عرفت. ولا على الحضرة الواحدية لأنها مقام اعتبار الكثرة العلمية.

قال المحقق القونوي في "مفتاح الغيب":

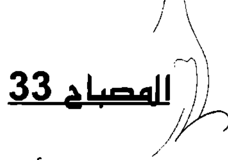
"العماء الذي ذكره النبي (صلى الله عليه وآله) مقام التنزل الرباني، ومنبعث الجود الذاتي الرحماني من غيب الهوية وحجاب عزة الإنية.

وفي هذا العماء تتعين مرتبة النكاح الغيبي الأول الأزلي الفاتح لحضرات الأسماء الإلهية بالتوجهات الذاتية الأزلية".

وهذا الكلام، وإن كان فيه بعض النقد، إلا أنه لا يخلو من تأييد لما ذكرنا.

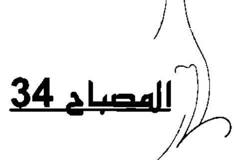
المصباح 32

إذا تم ظهور عالم الأسماء والصفات وحصلت
الكثرة الأسمائية بظهور الفيض الأقدس في
كسوتها، فتحت أبواب صور هذه الأسماء وهي الأعيان الثابتة في النشأة العلمية التي يعبر عنها باللوازم الأسمائية. فتعينت كل صفة بصورة واقتضى كل اسم لازماً حسب مقام ذاته من اللطف والقهر والجلال والجمال والبساطة والتركيب والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية.



المصباح 33

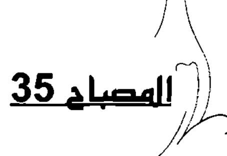
وأول اسم اقتضى ذلك هو الاسم "الله" الأعظم،
رب العين الثابتة المحمدية في النشأة العلمية.
فحصل الارتباط بين الظاهر والمظهر والروح والقالب والبطون والظهور. فالعين الثابتة للإنسان الكامل أول ظهور في نشأة الأعيان ومفتاح مفاتيح سائر الخزائن الإلهية والكنوز الربانية المختفية، كل ذلك بسبب الحب الذاتي في حضرة الألوهية.



المصباح 34

وظهور سائر اللوازم الأسمائية في حضرة الأعيان يكون بتوسط العين الثابتة الإنسانية، كما أن ظهور أرباب هذه الأعيان في الحضرة الأسمائية كان بتوسط رب العين الثابتة الإنسانية، أي الاسم "**الله**" الأعظم.

فلهذه العين أيضاً خلافة على جميع الأعيان، ولها النفوذ في مراتبها والنزول في مقاماتها. فهي الظاهرة في صورها والسارية في حقائقها والنازلة في منازلها. وظهور الأعيان بتبع ظهورها، كلٌّ حسب مقامه بالمحيطية والمحاطية والأولية والآخرية...



المصباح 35

إن حضرة الأعيان الثابتة هي حضرة القضاء الإلهي والقدر الربوبي، وفيها يختص كل صاحب مقام بمقامه، ويقدّر كل استعداد وقبول بواسطة الوجهة الخاصة التي تكون للفيض الأقدس مع حضرة الأعيان.

فظهور الأعيان في الحضرة العلمية تقدير الظهور العيني في النشأة الخارجية، والظهور في العين حسب حصول أوقاتها وشرائطها. إن كل الأعيان الخارجية تقدّرت بصور الأعيان الثابتة، وإن كانت بوجه ليست هي إلا أنها ظهورها في النشأة الخارجية.



المصباح 36

ومما مر تعرف حقيقة "البداء" الوارد في الحديث عن أبي عبد الله(ع):

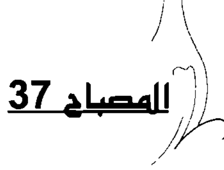
"إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه".

فإن منشأ البداء هو حضرة الأعيان التي لا يعلمها إلا هو. والاطلاع على العين الثابتة الذي يحصل لبعض الأولياء، كالإنسان الكامل، يعدّ من العلم الربوبي دون علم الأنبياء والرسل، كما ورد بشأن هذه الآية:

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول..﴾، عن الإمام الباقر(ع): **"والله إن محمداً ممن ارتضاه".**

والبداء بحسب النشأة العينية، وإن كان في الملكوت - كما هو محقق عند الحكماء المحققين - إلا أن منشأه هو الحضرة العلمية، وهي حضرة الأعيان الثابتة.

ففرق بين ظهور البداء ونشأته.



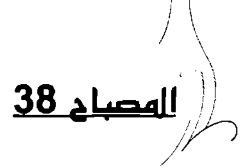
المصباح 37

ومن المعارف التي تنكشف بالاطلاع على المصابيح الماضية يظهر سر من أسرار "القَدَر". وقد ورد عن

أهل بيت العصمة ما يكشف النقاب، منها ما في كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال:

"ألا إن القدر سر من سر الله، وستر من ستر الله وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله عن العباد علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بقدرة الصمدانية ولا بعظمة النورانية ولا بعزة الوحدانية، لأنه بحر زاخر خالص لله تعالى، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، يعلو مرة ويسفل أخرى. في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع إليها إلا الله الواحد الفرد، فمن تطلع إليها فقد ضاد الله عز وجل في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسره وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير". صدق ولي الله.

وفي هذا الحديث دليل متقن على كثير مما تلونا ومما سنتلو إن شاء الله.



المصباح 38

إن النسبة بين العين الثابتة للإنسان الكامل وبين سائر الأعيان كالنسبة بين الاسم "الله" الأعظم في الحضرة الواحدية وسائر الأسماء. وذلك في الاسم الأعظم في

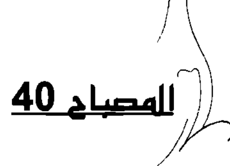
كلتي جهتيه: جهة غيبه المعبر عنها بالفيض الأقدس، وجهة ظهوره المعبر عنها بالاسم الله الأعظم ومقام الألوهية وحضرة الواحدية والجمع.

فكما أنه بجهة غيبه لا يظهر في مرآة ولا يتعين بتعين، وبجهته الأخرى يظهر في جميع المراتب الأسمائية ويكون ظهور الأسماء تبع ظهوره، كذلك العين الثابتة للإنسان الكامل بجهتها الجمعية الإجمالية المنتسبة إلى حضرة الجمع لا تظهر في صور الأعيان،... فهي بهذه الجهة غيب، وبجهتها الأخرى ظاهرة في صور الأعيان، في... كل حسب استعداده ومقامه وصفاء مرآته وكدورتها.

المصباح 39

قال القيصري في مقدمات شرح فصوص الحكم:

"الماهيات هي الصور الكلية الأسمائية المتعينة في الحضرة العلمية تعيناً أولياً. وتلك الصور تكون فائضة عن الذات الإلهية بالفيض الأقدس والتجلي الأول بواسطة الحب الذاتي وطلب مفاتيح الغيب - التي لا يعلمها إلا هو - ظهورها وكمالها. فإن الفيض الإلهي ينقسم إلى الفيض الأقدس والمقدس. وبالأول تحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم. وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها. وإليه أشار الشيخ بقوله: "والقابل **لا** يكون إلا من فيضه الأقدس".



المصباح 40

ولكنك علمت من المصابيح السالفة أن التجلي الأول بالفيض الأقدس هو الظهور بالاسم "**الله**" الأعظم في الحضرة الواحدية قبل أن يكون للأعيان عين أو أثر.

وأما الأعيان الثابتة فتحصل بالتجلي الثاني للفيض الأقدس. وهو التجلي بالألوهية في الحضرة العلمية، ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو في تلك المرتبة هي الأسماء والصفات التي هي حاصلة للحضرة "العندية".

فالفيض الأقدس لا يتجلى بلا توسط في حضرة الأعيان، بل بتوسط الاسم "**الله**"، وإن كان متحداً معه، إلا أنه لا بد من اعتبار الجهات، كما صح عن الحكماء: "لولا الحيثيات لبطلت الحكمة".

وأما قول الشيخ: "والقابل لا يكون إلا من فيضه الأقدس" فباعتبار أن الكل منه في الحقيقة، فإن كل مرتبة عالية تشتمل على كل ما دونها من المراتب مهما كثرت، وإن كان التجلي بلا واسطة للمرتبة الأعلى بالنسبة للمرتبة الأولى منها. وعليه، فلا بد من التفريق بين حقيقة الأشياء وظهورها. فالأعيان لا تحصل بتجليه الأول، وإن كان الفيض الأقدس حقيقتها.



المصباح 41

وفي النشـأة العلميـة تكون العين الثـابتـة للإنسـان الكامل خليـفـة الاسم "الله" الأعظم في الظهـور بمرتبة الجامعية وإظهار الصور الأسمائية.

فإن الاسـم الأعظم لاستجماعه الجلال والجمال والظهور والبطون لا يمكن أن يتجلى بمقامه الجمعي لعين من الأعيان، وذلك لضيق المرآة وكـدورتها وسـعـة وجه المرئي وصفـائه. فـلا بد من مـرآة تناسب وجـه المرئي حيث يمكن أن ينعكس نوره فيها، فيظهر عالم القضاء الإلهي.

ولولا العين الثـابتـة الإنسـانيـة، لما ظهـرت عين من الأعـيـان. ولولا ظهـور الأعـيـان الثـابتـة لما ظهـرت الأعـيـان الخـارجيـة: ***﴿إنا كل شيء خلقناه لقدر﴾***.

فبالعين الثابتة الإنسانية اتصل الأول بالآخـر، وارتبط الآخر بالأول، فهي مع كل الأعيان معيةً قيومية، لا معية المصاحبة.

المصباح 42

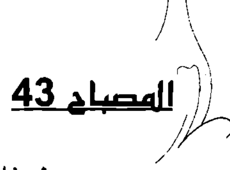
إن كل من يطرق باب الحكمـة بيـد جـمع المصطلحـات، ويدخل منزل العرفان بقدم **الأنانية** معرّض للوقوع في الشبهات المزلة. فيظن تبعاً للبيانات السابقة أن **في**

حضرة الأعيان والأسماء تكثراً أو تغايراً أو تميزاً أو مرآة ومرئياً أو وجود شيء من الأشياء على النحو الذي يكون من الممكن.

فإذا قرأ أن في دار الوجود مراتب أو سمع أن للأسماء تكثراً حكم بالتمايز، لأن كل كثرة عنده مقيسة على الكثرات الحسية التي اعتاد عليها.

وإذا اطلع على أن الفيض الأقدس هو غير الفيض المقدس حكم بالبينونة بينهما لأن علمه عبارة عن المفاهيم المتباينة التابعة لتصوراته الحسية.

إن مثل البيانات السابقة فيها المحكم والمتشابه. وإن اتباع المتشابه منها من غير البحث عن مغازيها والفحص عن مقاصدها عند ولي مرشد يؤدي إلى الخروج عن التوحيد الذي هو قرة عين أهل المعرفة.



المصباح 43

ولهذا نشير إلى تلك المقاصد على نحو الإجمال.

فاعلم أن الذات الإلهية لما كانت تامة فوق التمام، بسيطة فوق البساطة فهي كل الأشياء بوجه بسيط إجمالي، منزهة عن قاطبة الكثرات الخارجية والخيالية والوهمية والعقلية. فهي كل الأشياء وليست بشيء منها.

وهذه القاعدة ثابتة في مسفورات أصحاب الحكمة المتعالية مبرهن عليها في الفلسفة الإلهية في أبحاث الوجود وأحكامه، ومكشوفة ذوقاً

عند أصحاب القلوب والسلوك، مسددة بالآيات القرآنية، مؤيدة بالأحاديث المروية.

فالعرفاء الكمل لما شهدوا ذلك ذوقاً ووجدوه شهوداً، وضعوا لما شهدوا اصطلاحات، وصنعوا لما وجدوا عبارات لجلب قلوب المتعلمين إلى عالم الذكر الحكيم. وإلا فالمشاهدات العرفانية والذوقيات الوجدانية غير قابلة للظهور بالعبارة. وكما أن العبارات والمصطلحات طريق للمتعلمين، فإنها حجاب عند الكاملين.

كما أن مجرد مطالعة كتبهم لا توصل إلى حقيقة مقاصدهم، بل يحتاج الأمر إلى الاطلاع على معاني مصطلحاتهم التي تختلف مع غيرهم من أهل العلوم وإن تشابهت لفظاً.



المصباح 44

هذه الخلافة التي عرفت مقامها هي حقيقة "الولاية". فإن الولاية هي القرب أو المحبوبية أو التصرف أو الربوبية. وكلها حق هذه الحقيقة، وسائر المراتب ظلها. وهي المربي للولاية العلوية المتحدة مع حقيقة الخلافة المحمدية في نشأة الأمر والخلق.



المصباح 45

إن الخلافة والولاية بمقامهما الغيبي - الذي لا يتعين بتعين ولا يتصف بصفة ولا يظهر في مرآة - لا يكون لهما هيئة روحانية أصلاً.

وأما بمقام ظهورهما في صور الأسماء والصفات وانعكاس نورهما في مرائي التعينات، فهما على هيئة كرات محيطة بعضها على بعض.

ولكن الأمر في الكرات الإلهية والروحانية على عكس الكرات الحسية: فإن الكرات الحسية يحيط محيطها بمركزها، وفي الكرات الإلهية والروحانية يحيط مركزها بمحيطها، بل المحيط فيها عين المركز باعتبار.

المصباح 46

لا تتوهمن أن الإحاطة في تلك الكرات، كالإحاطة في الكرات الحسية من كون بعضها في جوف بعض وتماس سطوح بعضها بسطوح بعض. فإن ذلك توهم فاسد وظن باطل.

فاخرج من هذا السجن واترك دار الحس والوهم، وارقَ إلى عالم الروحانيات، وابعث نفسك من هذه القبور الهالك سكانها الظالم أهلها.



المصباح 47

قد جاء في كلام الحكيم أرسطوطاليس أن الحقائق البسيطة تكون على هيئة الاستدارة الحقيقية. وبرهن على هذا العارف القاضي سعيد القمي في البوارق الملكوتية قائلاً:

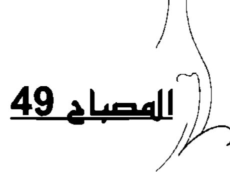
"الحقائق البسيطة سواء كانت عقلية أم غيرها، تقتضي بذاتها الاستدارة الحقيقية على حسب سعة الدرجة وضيقها، وكل يعمل على شاكلته. وذلك لأن نسبتها إلى ما دونها مما تحت حيطتها لا تختلف من جهة دون جهة، فلو كانت غير مستديرة لاختلفت النسبة".



المصباح 48

إن النبوة الحقيقية المطلقة هي إظهار ما في غيب الغيوب في الحضرة الواحدية حسب استعدادات الظاهر بالتعليم الحقيقي والإنباء الذاتي.

فالنبوة مقام ظهور الخلافة والولاية، وهما مقام بطونها.



المصباح 49

إن الإنباء والتعليم بحسب نشآت الوجود ومقامات الغيب والشهود مختلف المراتب. ولكن الجامع لها هو حقيقة الإنباء والتعليم.

فمرتبة منها ما حصل لأصحاب سجن الطبيعة وأهل القبور المظلمة في عالم الطبيعة.

ومرتبة لأهل السر من الروحانيين والملائكة المقربين. ومن ذلك تعليم آدم.

ومرتبة الحقيقة الإطلاقية من حضرة الاسم الأعظم رب الإنسان الكامل.

ومرتبة للأعيان الثابتة من حضرة العين الثابتة المحمدية.

ومرتبة عالية لحضرة الأسماء في مقام الواحدية والنشأة العلمية الجمعية من حضرة الاسم "الله" الأعظم بمقامه الظهوري لا الغيبي.

وفوق ذلك لا يكون إنباء وظهور، بل بطون وكمون.

المصباح 50

هل بلغك من تضاعيف إشارات الأولياء(ع) وكلمات العرفاء أن الألفاظ وضعت لأرواح المعاني

وحقائقها؟

وهل تدبرت في ذلك؟

فلعمري أن التدبر فيه من مصاديق قوله(ع): "**تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة**". فإنه مفتاح مفاتيح المعرفة وأصل أصول فهم الأسرار القرآنية.

ومن ثمرات هذا التدبر كشف حقيقة الإنباء والتعليم في النشآت والعوالم. فإن التعاليم والإنباءات في عالم الروحانيات وعالم الأسماء غير ما هو معروف عندنا نحن أصحاب السجون والقيود وأهل الحجب.

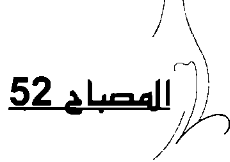
فإذا كان أهل تلك العوالم موجودات فعلية محضة لا قوة فيها، فهذا يعني أنها تنال كمالها دون تدرج كما يحصل لموجودات عالم الطبيعة.

ولك أن تسأل بعد هذا، كيف تحقق إنباء أبينا آدم(ع) للملائكة. وإذا كان تعليم آدم الأسماء كلها قد تحقق في عالم ما وراء الطبيعة وقبل هبوطه إلى هذا السجن، فكيف حصل هذا التعليم؟؟.

المصباح 51

هل قرأت كتاب نفسك، وتدبرت في هذه الآية العظيمة التي جعلها الله مرقاة لمعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته؟ فانظر ماذا ترى من إنباء حقيقتك الغيبية في عقلك البسيط بالحضور البسيط الإجمالي، وفي عقلك التفصيلي بالحضور

التفصيلي، وفي ملكوت نفسك بالتجلي المثالي والملكوتي، ثم يتنزل الأمر بتوسط الملائكة الأرضية إلى عالم الملك. وإن شئت قلت: بظهور جبروتك في الملكوت، والملكوت في الملك، فتظهر بالصوت واللفظ في النشأة الملكية الظاهرة. فهل الإنباء والإظهار في تلك النشآت والمراحل وهذه العوالم والمنازل على نهج واحد وطريق فارد؟



المصباح 52

إن الإنباء في تلك الحضرة هو إظهار الحقائق المستكنة في الهوية الغيبية على المرائي المستعدة المصقولة، لانعكاس الوجه الغيبي فيها حسب استعداداتها النازلة من حضرة الغيب بهذا الفيض الأقدس.

فالاسم "الله" الأعظم، أي مقام ظهور حضور الفيض الأقدس والخليفة الكبرى الولي المطلق هو النبي المطلق المتكلم مع الأسماء والصفات بمقام كلامه الذاتي في الحضرة الواحدية، وإن لم يُطلق عليه اسم "النبي"، فلا يقال أنه الله، لأن أسماء الله موقوفة على ما ورد في لسان الشريعة.

فالكلام والإنباء من قبل الاسم الأعظم هو إظهار الوجه الغيبي لحضرة الأسماء والصفات. وبهذا الإنباء ارتبطت الأسماء بتلك الحضرة الغيبية، وصارت معروفة.

المصباح 53

إن كلاً من الأسماء الإلهية يقتضي إظهار كماله الذاتي على الإطلاق. فالجمال يقتضي ظهور الجمال المطلق وبطون الجلال فيه. والجلال يقتضي ظهور الجلال المطلق وحجب الجمال تحت قهره.

وهكذا في سائر الأسماء الإلهية، لأن الاقتضاء حاصل على سبيل الإطلاق.

والحكم الإلهي يقتضي العدل بينهما، وظهور كل واحد حسب اقتضاء العدل. فتجلى الاسم الأعظم الحاكم المطلق على الأسماء كلها باسميّ "**الحكم العدل**" وحكم بالعدل بينها. وجرت سنّة الله التي لا تبديل لها وتم الأمر وقضي. وهذا هو الاختصام في الملأ الأعلى الذي ورد في نصوص بعض العرفاء.

المصباح 54

وهكذا يكون شأن النبي في كل نشأة من النشآت وعالم من العوالم حفظ الحدود الإلهية والمنع عن الخروج عن حد الاعتدال والزجر عن إطلاق الطبيعة.

فالنبي هو الظاهر باسميّ "**الحكم العدل**" لمنع إطلاق الطبيعة

والدعوة إلى العدل في القضية. وخليفته مظهره ومظهر صفاته. وهذا أحد معاني قوله(ع): **"واعرفوا.. أولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان"**.



المصباح 55

قال كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني في مقدمات شرحه على قصيدة ابن الفارض:

"النبوة بمعنى الإنباء، والنبي هو المنبئ عن ذات الله وصفاته وأسمائه وأحكامه ومراداته. والإنباء الحقيقي الذاتي الأولي ليس إلا للروح الأعظم الذي بعثه الله تعالى إلى النفس الكلية أولاً، ثم إلى النفوس الجزئية ثانياً، لينبئهم بلسانه العقلي عن الذات الأحدية والصفات الأزلية والأسماء الإلهية والأحكام القديمة والمرادات الحسية".



المصباح56

هذا هو غاية ما وصلوا إليه في حقيقة النبوة، بل الخلافة والولاية أيضاً. فإنا نقول أن النبوة التي وصفها هذا العارف الجليل بأنها الحقيقة الذاتية هي ظل النبوة التي تكون في حضرة الأعيان التي هي ظل النبوة الحقة الحقيقية في الحضرة الواحدية، أي حضرة الاسم الأعظم المبعوث إلى الأسماء

المنبئ عن الحضرة الأحدية الغيبية. ونبوة نبينا (صلى الله عليه وآله) مظهر هذه النبوة بحسب الباطن، وبحسب النشأة الظاهرة مظهر نبوته الباطنة.

فللنبي الأعظم نبوة باطنة هي مظهر تلك النبوة في حضرة الاسم الأعظم. وتظهر نبوته في هذه النشأة الظاهرة أيضاً.



في بعض أسرار الخلافة والولاية والنبوة في النشأة العينية وعالمي "الأمر" و"الخلق" بطريق الرمز من وراء الحجاب بلسان أهل القلوب وأولي الألباب.

وفيها أنوار إلهية تسطع من مصابيح غيبية.

المصباح 1

فيما تنور القلب من نفحات عالم الأمر من ناحية النَفَس الرحماني طبقاً لذوق من ذاق رحيق الهداية من كأس الولاية، ودخل مدينة العلم من بابها بعد الاستيذان من أهلها. وفيها أنوار تشير إلى أسرار.

نور 1

قد علمت من المشكاة الأولى أن الاسم الأعظم هو مقام جمع الحقائق الأسمائية، لا فرق بينه وبين المقام الغيبي إلا بالظهور والبطون.

وهو كل الأسماء بالوحدة الجمعية والبساطة الأحدية المنزهة من الكثرة.

وعلمت أيضاً أن الهوية الغيبية لا تظهر في عالم من العوالم، ولا ينعكس نورها من حيث هي هي في مرآة من المرائي.

فاعلم الآن، أن الذات مع التعين الأسمائي تكون منشأ لظهور عالم مناسب لذلك التعين. كتعيّنها باسم "**الرحمن**" لبسط الوجود، وباسم "**الرحيم**" لبسط كمال الوجود، وباسم "**العليم**" لظهور العوالم العقلية، وباسم "**القدير**" لبسط عوالم الملكوت.

ولأن الاسم هو الذات مع التعين الذي يكون منشأ لظهور عالم من العوالم، صارت أسماء الله توقيفية.

2 نور

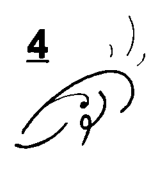
بل نقول أن كل فاعل من الفواعل، في أي عالم، لا يكون بحسب ذاته بذاته منشأ لأثر من الآثار. فإن ذاته في حجاب الصفات وغيب الأسماء، لا تظهر إلا من وراء الحجاب. فتأثيره يكون من التعينات الأسمائية لا بذاته.

3 نور

لما تعلق الحب الذاتي بشهود الذات في مرآة الصفات: "**فأحببتُ أن أُعرف**"، أظهر عالم الصفات، وتجلى بالتجلي الذاتي في الحضرة الواحدية في مرآة جامعة أولاً، وفي المرائي الأخرى بعدها على حسب استحقاقاتها وسعتها.

وبعد ذلك تعلق الحب برؤيتها في العين، فتجلى في المرائي الخلقية من وراء الحجب الأسمائية، فأظهر العوالم على الترتيب المنظم، وظهر

في المرائي على حسب الترتيب، من مرآة الاسم الأعظم، إلى الملائكة المقربين والبهم الصافين إلى آخر عوالم الملك والشهادة.



4

أول من فلق صبح الأزل وتجلى على الآخر بعد الأول هو المشيئة المطلقة والظهور غير المتعين الذي يعبر عنه تارة:

- بالفيض المقدس لتقدسه عن الإمكان ولواحقه والكثرة وتوابعها،
- وأخرى بالوجود المنبسط لانبساطه على هياكل سموات الأرواح وأراضي الأشباح،
- وثالثة بالنَفَس الرحماني والنفخ الربوبي وبمقام الرحمانية والرحيمية والقيومية والعماء والحجاب الأقرب والهيولى الأولى والبرزخية الكبرى ومقام التدلي وبمقام المحمدية والعلوية.. إلى غير ذلك من الاصطلاحات والعبارات.

5

إن للمشيئة المطلقة مقامين: الأول مقام اللاتعين والوحدة لا الظهور بالوحدة، والثاني مقام الكثرة والتعين بصورة الخلق والأمر.

وهي بمقامها الأول مرتبطة بحضرة الغيب أي الفيض الأقدس، فلا ظهور لها بذلك المقام، وقد علمتَ أن الوجه الغيبي لأي مقام لا ظهور

له بحسب هذا الوجه.

وبمقامها الثاني ظهور كل الأشياء، بل هي الأشياء كلها أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

6

إن حضرة المشيئة لكونها ظهوراً لحضرة الجمع تجمع كل الأسماء والصفات بأحدية الجمع. وهذا مقام التجلي العلمي في نشأة الظهور والعين: ﴿***فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض***﴾.

فكل مراتب الوجود هي مقام العلم والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات. بل كل المراتب من أسماء الحق، فهو مع تقدسه ظاهر في الأشياء كلها، ومع ظهوره مقدس عنها جلها.

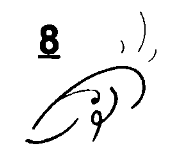
فالعالم مجلس حضور الحق، والموجودات حضّار مجلسه.

7

قال العارق الكامل الشاه آبادي:

"إن مخالفة موسى(ع) للخضر في الموارد الثلاثة التي ذكرت في سورة الكهف - مع عهده بأن لا يسأله - مما كان لحفظ حضور الحق. فإن المعاصي هتك مجلس الحق، والأنبياء(ع) مأمورون بحفظ الحضور. وحيث رأى موسى الخضر ارتكب ما ينافي بظاهره مجلس الحضور، نسي ما عاهده وحفظ الحضرة. وكان الخضر(ع) لقوة مقام ولايته وسلوكه يرى ما لا يرى موسى(ع) فموسى

حفظ الحضرة والخضر حفظ الحاضر. وبين المقامين فرق جلي يعرفه الراسخون في المعرفة.



8

إن حضرة المشيئة المطلقة لفنائها في الذات الأحدية واندكاكها في حضرة الألوهية واستهلاكها في نور الربوبية، لا حكم لها في نفسها، بل لا نفسية لها أصلاً.

فهي ظهور الذات الأحدية في هياكل الممكنات على قدر استحقاقها، وهي بروز الجمال السرمدي في مرآه الكائنات على قدر صفائها. وقد أشار إلى ذلك بكمال اللطف بقوله تعالى: ***﴿الله نور السموات والأرض﴾***. فأظهر الحقيقة لأهلها بأتم بيان وقال أنه تعالى ظهور السموات والأرض، أي عالمي الغيب والشهادة. فهو تعالى بكمال تقدسه ظاهر في مرائيها، وظهورها هو ظهوره تعالى.

فانظر كيف مثّل نوره بالمصباح المجلوّ من خلف الزجاجة الرقيقة.

9

من المعروف أن هناك فئتين من العلماء، في المعارف الإلهية، فئة العرفاء وأصحاب الكشف، وفئة الحكماء وأهل البرهان.

وكل طائفة تناولت علاقة الحق سبحانه بخلقه. فقالت الطائفة الأولى أنه تعالى ظهر في مرائي التعينات وملابس المخلوقات كما قال تعالى: ***﴿هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾***، وعن النبي(ص): **"لو**

دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبطتم على الله". وإشارة إلى هذا ورد أن معراج يونس(ع) كان في بطن الحوت، كما كان معراج رسول الله صلى الله عليه وآله بعروجه إلى فوق الجبروت.

وقالت طائفة الحكماء أن سلسلة الموجودات من عالمي الأمر والخلق مراتب فعله ومدارج خلقه وأمره، وأنه تعالى منزه عن العالمين ومقدس عن النزول إلى محفل السافلين، وأين التراب ورب الأرباب!.

وقد ذكرنا أن مقام المشيئة المطلقة وحضرة الألوهية لمكان استهلاكها في الذات الأحدية لا حكم لها، كالمعنى الحرفي القائم بغيره.

وأن الوجودات الخاصة في كل نشأة من النشآت ظهرت، والأنوار المتعينة في كل مرتبة من المراتب برزت، إنما هي مستهلكات في حضرة الألوهية. مثلما أن المقيد ظهور المطلق بل عينه، رغم أن القيد أمر اعتباري. والعالم هو التعين الكلي. فهو من هذه الجهة اعتبار وخيال في خيال عند الأحرار.

فلا بد للحكيم المتأله من أن يستهلك التعينات في الحضرة الأحدية، ولا يغض عينه اليمنى وينظر باليسرى. كما أنه لا بد للعارف المشاهد أن يتوجه إلى الكثرات وينظر باليسرى إلى التعينات.

وبالجملة، أن مغزى مرامهم وإن كان أمراً واحداً، إلا أن غلبة حكم الوحدة وسلطانها على قلب العارف تحجبه عن الكثرة، فاستغرق في التوحيد وغفل عن العالمين. وحكم الكثرة على الحكيم يمنعه من إظهار الحقيقة ويحجبه عن الوصول إلى كمال التوحيد وحقيقة التجريد،

وكلاهما خلاف العدل الذي قامت به سموات لطائف الإنسانية السبع.

فالحق الحقيق هو ان حضرة المشيئة المطلقة المستهلكة في الذات التي هي ظل الاسم الأعظم وحجابه الأقرب وظهوره الأول، نازلة إلى العوالم السافلات. وهي مقام ألوهية الحق الأول في السموات العلى والأرضين السفلى. ولا حكم لها بنفسها، بل لا نفسية لها. فإن قلت أن الله تعالى ظاهر في الأكوان ومتلبس بلباس الأعيان صدقت. وإن قلت أنه تعالى مقدس عن العالمين صدقت أيضاً.

10

لما كان الحق تعالى في كمال التقدس عن الأوضاع والجهات وتمام التنزه عن المكان والزمان، لم تكن نسبته تعالى مع فعله كنسبة سائر الفواعل مع أفعالها. فإن هذه الفواعل في قيد الماهية وأسر التعين. وبمقام ماهيتها يحصل التغاير مع أثرها وفعلها. فالفواعل غير الواجبة بحسب ذاتها التي هي التعين والماهية منفصلة الذات عن أفعالها وآثارها. وإن كان في هذه الفواعل مراتب من النورية والكمال، ودرجات في الشدة والضعف. فإن فواعل عالم الملك والطبيعة لكونها تحت حكومة الأبعاد المكانية والجهات الإمكانية، وفي أسر الهيولى وقيود المادة والزمان، صارت آثارها منعزلة الوجود عنها وضعاً، ومنفصلة الهوية عنها مكاناً. وهذا أشد أنواع العزل والانفصال، وذلك لتشابك وجوداتها مع الأعدام.

وأما موجودات عالم العقل ومقام التجرد، فلتنزهها عن تلك القشور وقربها من عالم النور، واندكاك جهاتها الإمكانية في الوجوب الأحدي،

وجبر نقصان ماهياتها بالوجود السرمدي، ولهذا يقال للوعاء الذي هي فيه عالم الجبروت لجبر نقصانها، فهي مقدسة عن الأوضاع مع منفعلها، ومنزهة عن جهات هذا العالم الأدنى، ولقد صح عن الأوائل أن العالم العقلي كان كله في الكل، لا حجاب فيه بين موجوداته، ولا حصول للأوضاع بين سكانه. هذا، مع أن نقطة "الإمكان" السوداء تسم ناصيته وذل الفقر الذاتي يعلو جبينه.

فإذا كان حال العالم العقلي مع الإمكان الذاتي كذلك، فكيف بمبدأ الوجود المنزه عن كل تعين وكثرة وجهة، والمقدس عن الماهية وجهات الغيرية! فهو تعالى ظاهر بظهور الأشياء لا كظهور الأجسام بالأنوار الحسية، ولا كظهور شيء بشيء، وباطن فيها لا كبطون شيء في شيء، ومع ذلك ظهوره بها أشد من ظهور كل ذي ظهور، وبطونه فيها أتم من بطون كل محجوب ومستور. فهو تعالى بعين الظهور بطون، وبعين البطون ظهور. كما صرح إمام زماننا عجل الله تعالى فرجه بقوله: "يا باطناً في ظهوره، وظاهراً في بطونه ومكنونه".

وقال الشيخ محي الدين ابن العربي: "وأما ما تعطيه المعرفة الذوقية فهو أن الحق ظاهر من حيث ما هو باطن، وباطن من حيث ما هو ظاهر. وأول من حيث ما هو آخر، وآخر من حيث ما هو أول".

11 نور

اعلم أن هذه الخلافة أيضاً خلافة في الظهور. فإن الأول جل مجده لما أراد أن يظهر في الأكوان لرؤية نفسه وكمالات ذاته في مرآة جامعة، تجلى باسمه الأعظم الذي

له مقام أحدية الجمع. فأشرقت من هذا التجلي سموات الأرواح وأراضي الأشباح. فكل المراتب الوجودية والحقائق النزولية والصعودية من تعين تجليه الذاتي الحاصل بالاسم الأعظم.

ومقام الخلافة هو مقام استجماع كل الحقائق الإلهية والأسماء المكنونة المخزونة.

وحيث لا حجاب من ناحية الرب الودود، لأن الحجاب من التعينات والحدود، ولا تعين من ناحية عالم القدس، فإن ذاته بذاته ظهرت في الأشياء، وعلى حد إطلاقه أشرقت الأرض والسماء: ***(وأشرقت الأرض بنور ربها..)***.

فمن عرف حقيقة استهلاك الوجود المنبسط والإحاطة القيومية للذات الواجبة، وعدم وجود أية نسبة بينها وبين الخلق، وتنزهها عن كل التعينات، يمكن له معرفة هذا الظهور الذاتي والتجلي الأسمائي والصفاتي. فمع كون التجلي بالأسماء وفي هياكل الممكنات، كان التجلي ذاتياً بلا ملابسة لأقذار التعينات الخلقية أو مناسبة مع عالم من العوالم.

12

كما أن عالم الأعيان الثابتة أيضاً لا يكون مانعاً من كون الظهور للذات - وإن كان الترتيب يقتضي أن تكون الأعيان ظاهرة، لأن كل مرتبة عالية تظهر فيما دونها والمرتبة الأدنى منها تكون ظهورها، إلا أنك عرفت أن الأعيان الثابتة لا وجود لها ولا كون في الحضرة العلمية إلا كون الثبوت. فحقائقها أيضاً غير

حاجبة عن الظهور الذاتي والتجلي الأسمائي والصفاتي. فهو تعالى بلا حجاب مسدول بينه وبين خلقه ظاهر في مرآة الكل. كما قال تعالى: ﴿*هو الأول والآخر والظاهر والباطن..*﴾ .. فأشار بلفظ هو إلى الحقيقة الغيبية المستكنة في الحضرة الأسمائية والصفاتية، وقال: الحقيقة الغيبية المقدسة عن التلبس بالأسماء والصفات، فضلاً عن ملابسة الأكوان الزائلات الداثرات، بحقيقتها الشريفة ظاهر وباطن وأول وآخر.

فالظهور كل الظهور له. والبطون كل البطون له. لا ظهور لشيء من الأشياء ولا بطون لحقيقة من الحقائق، بل لا حقيقة لشيء أصلاً مقابله ودونه. وفي آخر دعاء عرفة للإمام الحسين(ع):

"**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك.. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك..**".

وبهذا يعلم مقصود الأحرار في قولهم: العالم خيال في خيال..

13

هذا، ولكن حفظ مقام العبودية والأدب لدى الحضرة الربوبية، يقتضي أن يكون النظر إلى جهة التقديس والتنزيه أكثر، بل هو أنسب لحال السالك وأبعد له عن المخاطر.

فلا بد لكل من سلك طريق المعرفة أو دخل مدينة الحقيقة بقدم العلم أن يكون في جميع الأحوال منزهاً، وفي كل المقامات مقدساً ومسبحاً. ولهذا كان التقديس والتنزيه أكثر تداولاً على لسان الأولياء.

وكانوا عليهم السلام إذا وصلوا إلى هذا المقام صرحوا به تصريحاً، لا إشارة ولا تلويحاً. بخلاف مقام التشبيه والتكثير، فإنه قل في كلمات الكمل، من أصحاب الوحي والتنزيل التصريح به. بل كلما وصلوا إليه رمزوا بالقول رمزاً، ورفضوا التصريح به رفضاً.

وما وقع من الشطحيات من بعض أصحاب المكاشفة والسلوك وأهل الرياضة، فهو لنقصان سلوكهم وبقاء الأنانية في سرهم، فتجلت أنفسهم عليهم بالفرعونية.

وأما السالكون طريق الشريعة التي تدعوهم دوماً إلى رفض الأنانية بجملتها وترك عبودية النفس برمتها مع طهارتها، وعدم التوجه إلى إظهار القدرة والسلطنة، فهم في أعلى مرتبة من التوحيد والتقديس وأجل مقامات التكثير. فلم يكن التكثير حجاباً لهم عن التوحيد، ولا التوحيد عن التكثير. وذلك لقوة سلوكهم وعدم التظاهر بالربوبية التي هي من شأن الرب المطلق. هذا، مع أن هيولى عالم الإمكان مسخرة للولي، يقلّبها كيف يشاء. وقد جاءهم في هذا العالم الكتاب من الله العزيز الذي يأتي أهل الجنة في ذلك العالم كما أخبر رسول الله(ص):

"من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت، أما بعد، فإني أقول للشيء كن فيكون، وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون.. ثم قال (صلى الله عليه وآله): فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا ويكون".

14

نور

ومن هذا المقام إباء الأنبياء والمرسلين والأولياء الراشدين (صلوات الله عليهم أجمعين)، عن إظهار المعجزات والكرامات التي أصولها إظهار الربوبية والقدرة والولاية في العوالم العالية والسافلة، إلا في موارد اقتضت المصلحة إظهارها. وفيها أيضاً كانوا يصلون ويتوجهون إلى رب الأرباب بإظهار المسكنة والعبودية ورفض الأنانية، وإيكال الأمر إلى بارئه واستدعاء الإظهار من جاعله علت قدرته. هذا، مع أن تلك الربوبية الظاهرة بأيديهم عليهم السلام ليست إلا ربوبية الحق جل وعلا، إلا أنهم عن إظهارها بأيديهم أيضاً يأبون.

وأما أصحاب الطلاسم والسحر والشعوذة والرياضات النفسية التي أصولها الاتصال بعالم الجن والشياطين الكفرة، وهو الملكوت السفلى التي هي الظل الظلماني لعالم الملك، الذي يقابل الملكوت العليا، التي هي الظل النوراني لهذا العالم، فتراهم غارقين في مقام إظهار سلطنتهم وإبراز تصرفهم لفرط عشقهم لأنانيتهم وكثرة التعلق بحيثية نفوسهم. فهم عباد أصنام النفس وتابعو الجبت والطاغوت، غافلون عن رب العالمين، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.

15

نور

فإذا عرفت ما مر وأشرقت الأنوار السالفة في قلبك، يمكنك فهم بعض الحقائق وإدراك بعض الرموز والدقائق.

منها: سر قول الحكماء السابقين أن البارئ جلت عظمته يعلم بالجزئيات على الوجه الكلي. فإن الجنبة العالية من كل حقيقة على حد الإطلاق وصرافة الفعلية ومحض الكلية. وأما التشخصات المشهودة والتعينات المعلومة فهي من الجنبة الخلقية السافلة، ومن عالم الفرق لا الجمع. وقد علمت تنزه الباري سبحانه عن الكثرات وتقدسه عن التعينات.

ومنها: سر "القدر" في النشأة العينية الذي حارت العقول فيه وتشتت آراء الفلاسفة لديه. وقد علمت سابقاً أن القدر العلمي يرجع إلى عالم الأعيان. والأعيان الخارجية ظهور الأعيان الثابتة بحسب القابليات المقدرة.

ومنها: سر قول فرفوريوس الذي هو من أعاظم الحكماء في علم الباري في جعل مناط علمه تعالى اتحاده بالمعلومات (اتحاد العالم بالمعلوم) لأن بسيط الحقيقة كل الأشياء.

ومنها: وجه صحة رأي الشيخ المقتول السهروردي في علم الباري، حيث جعل العلم في مشربه ذاتياً مقدماً على الأشياء، وإن كان بوجه آخر فعلياً ويكون هو الأشياء. إلى غير ذلك من الأسرار.

16

إن النبوة في ذلك المقام الشامخ هي إظهار الحقائق الإلهية والأسماء الربوبية في النشأة العينية طبقاً للإنباء الغيبي الحقيقي في النشأة العلمية. فالنبوة هنا

مطابقة للنبوة هناك.

ومن ذاك المقام أعطي كل ذي حق حقه، بإكمال المستعدين وإيصال القابلين إلى كمالاتهم اللائقة. فإن مقام الرحمانية التي هي بسط الوجود، والرحيمية التي هي بسط كمال الوجود من ذاك المقام الذي هو أحدية جمعهما. ولهذا جعل الرحمن الرحيم تابعين للاسم **"الله"** في قوله **"بسم الله الرحمن الرحيم"**.

وقال الشيخ محي الدين في فتوحاته: "ببسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم".

فهذا المقام هو الرسول إلى سكان عالمي الغيب والشهادة والناطق بالحق من مقام الجمع على قاطني الملك والملكوت.

17

أول من آمن بهذا الرسول الغيبي والولي الحقيقي سكان الجبروت من الأنوار النورية القاهرة والأقلام الإلهية العالية. فهي أول ظهور بسط الفيض ومد الظل. كما قال النبي(ص): **"أول ما خلق الله نوري.. أو روحي"** (مع الالتفات إلى أن نوره غيره بوجه). ثم على الترتيب النزولي من العالي إلى السافل، ومن الصاعد إلى النازل حتى انتهى الأمر إلى عالم المادة وسكان الأراضي السافلة. وهذا أحد معاني قوله (صلى الله عليه وآله): **"آدم ومن دونه تحت لوائي.."** وأحد معاني عرض الولاية على جميع الموجودات.

وأما عدم قبول بعضها ورفضها - كما في الخبر - فراجع إلى نقصان القابلية والاستعداد، لا عدم القبول مطلقاً للكمال.

وبعبارة أخرى، قبول مقام الرحمانية وعدم قبول مقام الرحيمية. وإلا فكل موجود قد قبل الولاية والخلافة الباطنية بمقدار سعة وجوده وقابليته، فهما نافذتان في أقطار السموات والأرض كما ذكرت الأحاديث الشريفة.

18

لعل الأمانة المعروضة على السموات والأرض والجبال التي أبين أن يحملنها وحملها الإنسان الظلوم الجهول هي هذا المقام الإطلاقي. فإن السموات والأرضين وما فيهن محدودات مقيدات، حتى الأرواح الكلية. ومن شأن المقيد أن يأبى عن الحقيقة الإطلاقية. والأمانة هي ظل الله المطلق، وظل المطلق مطلق يأبى كل متعين أن يحمله. وأما الإنسان فبمقام الظلومية – التي هي تجاوز كل الحدود وتخطي كافة التعينات – والجهولية – التي هي الفناء عن الفناء – فقد كان قابلاً لحملها. فحملها بحقيقتها الإطلاقية حين وصوله إلى مقام قاب قوسين".

وتفكر عندها في قوله تعالى: *(أو أدنى)*، وأطفئ السراج فقد طلع الصباح.

19

إن نبوة الإنسان الكامل هي الظهور في النشأة العينية وإظهار الحقائق الغيبية والأسماء الإلهية فيها طبقاً لصور الأسماء في النشأة العلمية وهي الأعيان الثابتة.وهذه

هي الحقيقة المحمدية في النشأة الثانية، بل في الحضرة الثالثة، لاتحاد الظاهر والمظهر، خصوصاً المظهر الإطلاقي الأتم الذي لا تعين له ولا نفسية.

فالمقام الأول هو الإنباء بالحقيقة الجمعية والاسم الأعظم عن لسان غيب الغيوب إلى الحضرات الأسمائية في مقام الواحدية.

والمقام الثاني هو الإنباء بالمظهر الأتم والتجلي الأعظم، أي العين الثابتة الإنسانية، عن لسان الحقيقة الجمعية، أي الاسم الأعظم، بل عن لسان الغيب أيضاً - لعدم الحجاب أصلاً؟- إلى صور الأسماء وهي الأعيان الثابتة.

ومقامنا هذا، أي ثالث المقامات (الذي كلامنا فيه)، هو الإنباء بالمظهر الأتم في النشأة العينية (أي الحقيقة الإنسانية في عالم الأمر) عن لسان العين الثابتة، بل عن الاسم الأعظم بل عن مقام الغيب لاتحاد الظاهر والمظهر وعدم الحجاب، كما عرفت.

20

قال الشيخ الجليل محمد رضا القمشه اي(قده) في تعليقه على شرح فصوص الحكم - بعد قياسه الأعيان الثابتة مع الأسماء الإلهية بالماهية والوجود، وأن الماهية كما تكون تعين الوجود وتنسب الأشياء إليها لا إلى الوجود، لأن الشيء يفعل بتعينه، كذلك تكون الأعيان الثابتة تعيّن الأسماء، والعالم منسوب

إلى العين الثابتة للإنسان الكامل - "نقد وتلخيص: الأعيان الثابتة تعينات الأسماء الإلهية، والتعين عين المتعين في العين غيره في العقل، مثلما أن الماهية عين الوجود في الخارج وغيره في العقل.

فالأعيان الثابتة عين الأسماء الإلهية، والأسماء الإلهية تجليات للاسم "الله" باعتبار، وأجزاؤه باعتبار آخر. فهي تجليات الحقيقة الإنسانية باعتبار، وأجزاؤها باعتبار آخر. لأن الحقيقة الإنسانية عين ذلك الاسم الجامع، لاتحاد التعين والمتعين. فالعين الثابتة الأحمدية التي هي الحقيقة الإنسانية هي المتجلية في صورة الأسماء والأعيان في عالم الأسماء والأعيان الثابتة. والعالم بمعنى ما سوى الله، هو صور الأسماء ومظهرها. فهو صورة الحقيقة الإنسانية ومظهرها. لأنا قلنا أن الأسماء والأعيان تجليات تلك الحقيقة باعتبار، وأجزاؤها باعتبار آخر. وصورتها صورة تلك الحقيقة ومظهرها. فالحقيقة المحمدية هي التي تجلت في صورة العالم، والعالم من الذرة إلى المجرة ظهورها وتجليها".

ثم قال (قده):

"فإن قلت: إذا كان الاسم "الله" والعين الثابتة المحمدية متحدين في العين، فلم أسند العالم إلى تلك العين، ولم يسند إلى ذلك الاسم؟ أقول: العين الثابتة تعيّن ذلك الاسم، والشيء يفعل بتعيّنه. فالمتجلي في الملك والملكوت والجبروت واللاهوت هو تلك الحقيقة بإذن الله..".

21 نور

قد عرفت أن ثبوت الأعيان الثابتة في العلم الإلهي كثبوت الأنوار الناقصة في النور التام، وكالعقل التفصيلي في العقل البسيط الإجمالي. وحيث لا حجاب في الأعيان والأسماء لشدة نورانيتها، فكل ما نسب إلى العين الثابتة ينسب إلى الأسماء والصفات الإلهية وينسب إلى الذات المقدسة أيضاً لاتحاد الظاهر والمظهر ورفع الحجاب (من وجه).

فالتجليات، رغم كونها في لباس الأسماء والصفات وكسوة الأعيان، هي تجليات للذات أيضاً.

فالقياس بالماهية والوجود - مع كونه قياساً مع الفارق - ليس الأمر في المقيس عليه كما أفاد (قده). فإن انتساب الآثار إلى الماهية إما أن يكون بنظر الوحدة في الكثرة فيكون الوجود مع تنزهه عن التعينات ظاهراً فيها وهو الأشياء كلها. وإما أن يكون بنظر أصحاب الفلسفة الرسمية الذي يعد العالم أي الكلي الطبيعي موجوداً. ولا يتناسب هذين النظرين مع المشرب العرفاني، فإنه عند الأحرار خيال في خيال.

وبالجملة، إن أراد بقوله "إن الشيء يفعل بتعينه" أنه لا يفعل بذاته بلا التعين الاسمي لا يوجب نفي الانتساب إلى المتعين، بل الفعل منسوب إلى المتعين حقيقة لا التعين.

وإن أراد بذلك أن التعين فاعل، فلا وجه صحيح له. وإن أراد أنه آلة للمتعين، فمع كونه خلاف التحقيق لا يوجب نفي الانتساب أيضاً.

والتحقيق الحقيق ما عرفت أن الذات في كسوة التعينات الأسمائية تتجلى على الأعيان الثابتة. وفي كسوة الأعيان الثابتة تتجلى على الأعيان الخارجية. ولكن لعدم الحجاب، وصفاء المرآة كان التجلي ذاتياً لا شريك له تعالى في إلهيته. وإنما الحجاب الواقعي في أنانية السالك: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه). وفي الحديث عن الإمام الصادق(ع): **"يا هشام، الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى. فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد"**. صدق ولي الله.



المصباح 2

فيما ينكشف لك من سر الخلافة والولاية والنبوة في النشأة الغيبية والأنوار العقلية. وفيه حقائق إيمانية، تطلع من مطالع نورانية.

★ المطلع 1

إن الحقيقة العقلية الثابتة بالبراهين المتقنة التي فصلها الفلاسفة الكاملون وأرمز إليها المتألهون القدماء، وأشارت إليها الكتب الإلهية والصحف السماوية، وألقت الحجاب عنها الآثار النبوية والولائية، هي التعين الأول لحضرة المشيئة

المطلقة التي قد عرفت مقامها ومنزلتها من أحدية الجمع.

والبرهان عليه: هو أن الحقيقة غير المتعينة (أية حقيقة كانت) إذا صارت متعينة بالتعينات المتشتتة اللاحقة لها، لا تتعين بشيء منها إلا ما كان منها أسبق رتبة وأقدم مرتبة وذاتاً، أو زماناً إذا كانت من الزمانيات.

والماهية، أينما حلت، تتقدم على لواحقها وأعراضها من التعلقات الملكوتية وتقدراتها ولواحقها المادية. كما أن أصل التقدر والتعلق متقدمان على لواحقهما الأخر.

فتتصور الحقيقة أولاً بالماهية، ثم بغيرها من اللواحق، الأسبق فالأسبق.

وعند التفتيش التام عن حال مراتب الوجود وعالمي النزول والصعود، لا نرى فيها ما تعين بالماهية فقط دون لواحقها إلا الحقيقة العقلية. وأما سائر الموجودات من أي عالم كانت فلها تعين زائد على تعين الماهية. وعليه يجب أن تكون متأخرة عنها، والحقيقة العقلية متقدمة عليها تقدماً دهرياً، مثلما يكون تقدم الحقيقة اللامتعينة على المتعينات تقدماً بالحقيقة، بل تقدماً حقانياً أزلياً.

ولا تظنن أن تلك اللواحق (أي التعلق والتقدر الملكوتي، والانغمار في المادة والخضوع لسلطان الزمان والتدرج) كانت من لواحق الوجود وأعراضه دون الماهية، لانفكاكها عنها في التعقل! فإن هذا ظن فاسد وخيال باطل، لأن سنخ ذات الملكوت هو التعلق والتقدر، وسنخ الملك هو الأسر بالمادة ولواحقها.

ولهذا حددت النفس بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي، وصار علم النفس من الطبيعيات. وقد أثبت صدر المتألهين أن نفسية النفس في ابتداء نشأتها ليست من العوارض اللاحقة بذاتها، لازمة كانت تلك العوارض أو مفارقة. كذلك أسر الصور الملكية بالمادة ولواحقها ذاتاً مما قام البرهان عليه.

ولا يعني ذلك أن الصور الملكية والحقائق الملكوتية لا تنتهي إلى عالم النور. فإن هذا أيضاً ثابت عندنا بلا تهافت.

هذا بحسب القوس النزولي، وبهذا البيان يمكن إقامة البرهان على ترتيب الوجود بحسب القوس الصعودي أيضاً. فإن مبدأ حصول الصور والتوجه من الكثرة إلى الوحدة، ومن النزول إلى الصعود هو المعبر عنه بالهيولى الأولى التي لا تتصور بصورة (بذاتها) ولا تتعين بتعين (في جوهرها). ثم تعينت بالتعينات سابقاً فسابقاً، فتصورت أولاً بالصورة الجسمانية المطلقة، ثم العناصر، ثم المعادن، إلى الانخراط في سلك الروحانيين حتى يتصل الآخر بالأول ويرجع الأمر من حيث بدأ: ﴿*كما بدأكم تعودون*﴾.

☆ المطلع 2

إن الأحاديث الواردة عن أصحاب الوحي والتنزيل
حول بدء خلقهم عليهم السلام، وطينة أرواحهم،
وأن أول الخلق روح رسول الله وعلي(صلى الله عليهما وآلهما) أو أرواحهم،

تشير إلى تعين روحانيتهم التي هي المشيئة المطلقة والرحمة الواسعة بالتعين العقلي، لأن أول ظهور هو أرواحهم(ع)، والتعبير بـ"الخلق" يناسب ذلك، فإن مقام المشيئة لم يكن من الخلق في شيء، بل هو "الأمر" المشار إليه بقوله تعالى: ﴿***ألا له الخلق والأمر***﴾. وإن أطلق عليه الخلق أيضاً، كما جاء في الحديث: "**خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها**". وهذا الحديث الشريف من الأدلة على كون المشيئة المطلقة فوق التعينات الخلقية من العقل وما دونه.

ونذكر رواية تدل على تمام المقصود الذي أقمنا البرهان الذوقي عليه، فعن أبي عبد الله(ع) قال:

"**إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق الأنوار، وخلق نور الأنوار الذي نُوِّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار. وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً. فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كُوِّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب**".

لعل قوله "**كان إذ لا كان**" إشارة إلى تقدمه تعالى شأنه بالحقيقة على الموجودات. وفي توحيد الصدوق: "**إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان، وهو الآن كما كان**".

وقوله "**خلق الكان والمكان .. إلى قوله منه الأنوار**" إشارة إلى ترتيب أمهات مراتب الوجود من النازل إلى الصاعد. فإن الكان والمكان هما الكائنات الطبيعية والأجرام السماوية والأرضية، حتى يشمل النفس

التي هي بذاتها من عالم الأنوار ولكنها طالعة من مطلع المادة ظاهرة في الكائنات النازلة.

والأنوار هي العالم العقلي المنبسط والوجود المطلق الذي منه الحقائق العقلية وغيرها من العوالم الصاعدة والنازلة. وتخصيص خلق الأنوار منه - مع أن جميع مراتب الوجود منه - للتناسب الواقع بينهما، أو لكون العقل أول ظهور للمشيئة المطلقة، أو لأن صدور الكائنات لا يحتاج إلى ذكر بعد ذكر صدور الأنوار منه. فإن صدور الأنوار إذا كان من شيء، كان صدور الأكوان منه أيضاً بحسب ترتيب سلسلة الوجود.

وضمير فيه في قوله "**وأجرى فيه**" إما راجع إلى الكان والمكان، وفيه إشارة لطيفة إلى ظهور نوره في السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿***الله نور السموات والأرض***﴾، وإما راجع إلى الأنوار (أي في الأنوار) إشارة إلى أن المقيدات - التي هي الأنوار - عين المطلق الذي هو نور الأنوار. فعلى هذا، يكون المراد من نور الأنوار العقل المجرد الأول، ومن الأنوار النفوس الكلية، أو هي بالإضافة إلى سائر العقول إلا العقل الأول.

ويكون المراد من "**نوره الذي نورت منه الأنوار**" الفيض المنبسط. وهذا مناسب للعبارة من جهتين:

الأولى: نسبة الخلق إلى نور الأنوار، وقد عرفت أنه من عالم الأمر لا الخلق. وإن نسب إليه أحياناً.

الثانية: إضافة "النور" إلى ذاته تعالى في قوله: "**وأجرى فيه من نوره**"، فإنها إشارة إلى اتحاد الظاهر والمظهر، وإن جاز

إضافة نور سائر الأنوار إلى ذاته تعالى أيضاً باعتبار، ولكن الأنسب ذلك.

ولا شك بأن الإجراء في قوله **"وأجرى"** ليس كجريان النور الحسي في المستنير، بل هو بمعنى الظهور والإحاطة القيومية مثلما أن النور ليس النور الحسي.

وقوله **"وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً"** أي نور الأنوار - الذي هو الوجود المنبسط، وهو الحقيقة المحمدية والعلوية بنحو الوحدة واللاتعين - خلق نورهما المقدس.

وقوله **"فلم يزالا.."** إشارة إلى ظهوره في العوالم النازلة من صلب عالم الجبروت إلى بطن عالم الملكوت العليا، ومن صلبه إلى بطن عالم الملكوت السفلى، ومن صلبه إلى بطن عالم الملك، ثم ظهر في خلاصة العوالم ونسختها الجامعة، أي الإنسان الذي هو أبو البشر، وانتقل منه إلى أن افترق في أطهر طاهرين عبد الله وأبي طالب عليهما السلام.

☆ المطلع 3

اختلفت كلمات الحكماء بظاهرها مع العرفاء في كيفية الصدور وتعيين أول ما صدر من المبدأ الأول. فقالت الطائفة الأولى:

"فإن قال قائل: كيف يمكن أن تكون الأشياء من الواحد المبسوط (البسيط) الذي ليس فيه ثنوية ولا كثرة بجهة من الجهات؟ قلنا: لأنه

واحد محض مبسوط، ليس فيه شيء من الأشياء، فلما كان واحداً محضاً، انبجست منه الأشياء كلها. وذلك أنه لما لم يكن له هوية، انبجست منه الهوية. وأقول واختصر القول أنه لما لم يكن شيئاً من الأشياء رأيت الأشياء كلها منه، غير أنه وإن كانت الأشياء كلها إنما انبجست منه، فإنه الهوية الأولى، أعني بها هوية العقل، هي التي انبجست منه أولاً بلا توسط، ثم انبجست منه جميع هويات الأشياء التي في العالم الأعلى، والعالم الأسفل بتوسط هوية العقل والعالم العقلي". (من كتاب أثولوجيا).

وقالت العرفاء: إن أول ما صدر منه تعالى وظهر من حضرة الجمع هو الوجود العام المنبسط على هياكل الموجودات المشار إليها بقوله تعالى: ﴿***وما أمرنا إلا واحدة..***﴾ و﴿***أينما تولوا فثم وجه الله***﴾. وقال الشيخ القونوي:

"والحق سبحانه من حيث وحدة وجوده لم يصدر عنه إلا واحد لاستحالة إظهار الواحد وإيجاده من حيث كونه واحداً ما هو أكثر من واحد. لكن ذلك الواحد عندنا ما هو الوجود العام المفاض على أعيان المكونات وما وجد منها ما لم يوجد مما سبق العلم بوجوده. وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذي هو أول موجود، المسمى أيضاً بالعقل الأول، وبين سائر الموجودات، ليس ما يذكره أهل النظر من الفلاسفة".

وقال كمال الدين عبد الرزاق القاساني في اصطلاحاته:

"التجلي الشهودي هو ظهور الوجود، المسمى باسم النور. وهو ظهور

الحق بصور أسمائه في الأكوان التي هي مظاهرها. وذلك الظهور هو نفَس الرحمن الذي يوجد به الكل".

★ المطلع 4

إن الحكماء الشامخين لما كان نظرهم إلى الكثرة
وحفظ مراتب الوجود من عوالم الغيب والشهود
وترتيب الأسباب، لا جرم يحق لهم أن يقولوا بصدور العقل المجرد أولاً ثم النفس إلى آخر مراتب الكثرات. فإن مقام المشيئة المطلقة لا كثرة فيه، وإنما الكثرة تتحقق في المرتبة التالية لهذا المقام، وهي تعيناته. فالمشيئة لاندكاكها في الذات الأحدية واستهلاكها في كبرياء السرمدية لم يكن لها حكم حتى يقال في حقها أنه صادرة أو غير صادرة. (ولهذا لا يقول العرفاء بالصدور).

وأما العرفاء الشامخون فلما كان نظرهم إلى الوحدة وعدم شهود الكثرة، لم ينظروا إلى تعينات العوالم، ملكها أو ملكوتها، ناسوتها أو جبروتها، ويرون أن تعينات الوجود المطلق، المعبر عنها بالماهيات والعوالم اعتبار وخيال، ولذا قيل: العالم عند الأحرار خيال في خيال. وقال الشيخ ابن العربي: "العالم غيب ما ظهر قط، والحق ظاهر ما غاب قط". فما كان دار التحقق والوجود ومحفل الغيب والشهود إلا الحق ظاهراً وباطناً، أولاً وآخراً.

فمرجع هذا الاختلاف بين الفلاسفة والعرفاء إلى حيثية النظر، دون أن يكون عميقاً جوهرياً.

★ المطلع 5

بل نرجع ونقول: إن كلام المحقق القونوي أيضاً ليس عند العرفاء الكاملين بشيء. وما توهمه أنه من كلمات الأولياء هو عندهم فاسد. فإن الصدور لا بد له من مصدر وصادر، ويتقدم بالغيرية والسوائية. وهذه مخالفة لطريقة أصحاب العرفان في التوحيد والفناء. ولهذا تراهم يعبرون عن ذلك بالظهور والتجلي لا الصدور. أمِن وراء الحق شيء حتى ينسب الصدور إليه؟!

بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

فالعالم بجهته السوائية ما ظهر قط. والكلي الطبيعي غير موجود في نظر أهل الحق. أما إذا كان العالم بجهته الإلهية فهو اسمه الظاهر أو اسم الظاهر.

★ المطلع 6

هذا حكم من غلب عليه سلطان الوحدة، وتجلى الحق على جبل إنيته وجعله دكاً دكاً، وظهر عليه بالوحدة التامة والمالكية العظمى، كما يتجلى بذلك عند القيامة الكبرى.

وأما الذي يشاهد الكثرة بلا احتجاب عن الوحدة، ويرى الوحدة بلا غفلة عن الكثرة، فيعطي كل ذي حق حقه، فهو مظهر "الحكم العدل"

الذي لا يتجاوز عن الحد وليس بظلام للعبيد. **فيحكم تارة بتحقق** الكثرة، وأخرى بأن الكثرة هي ظهور الوحدة. كما نقل عن المتحقق بالبرزخية الكبرى المصطفى بلسان أحد الأئمة(ع): "**لنا مع الله حالات هو هو، ونحن نحن وهو نحن ونحن هو**".

وكلمات أهل المعرفة مشحونة بأمثال ذلك، منها ما قاله الشيخ الكبير محي الدين: "الحق خلق والخلق حق، والحق حق والخلق خلق". وقال في فصوص الحكم: "ومن عرف ما قررناه في الأعداد وأن نفيها عين ثبوتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق، فالأمر الخالق المخلوق والأمر المخلوق الخالق".

☆ المطلع7

إن هذه الحقيقة العقلية التي عرفت شأنها، لكونها في غاية التجرد عن تباعد المكان وتغير الزمان، واندكاك ماهيتها في إنيتها، وغلبة نور وجودها لظلمة ماهيتها، بل للتجرد عن حقيقتها ونفسيتها، تحيط بعوالم الغيب والشهادة، إحاطة المشيئة بها وبغيرها، وتسري فيها سريان الحقيقة في الرقيقة.

بل هي حقيقة العوالم، والعوالم ظلها، وهي الروح، والباقي قواها وجسمها.

وبالجملة، هي جهة وحدة العالم، والعلم جهة كثرتها. فالعالم هو العقل في صورة الكثرة.

قال الشيخ العارف القاضي سعيد القمي: "إن النفس عقل بالعرض ونفس بالذات"، وقال في شرحه لكتاب التوحيد: "امتثل العقل للأمر الإلهي فتصور بصورة النفس الكلية لتصوير المادة".

وهو (قده) وإن قصر ذلك التصوير على النفس فقط، لكن العلم بمراتب الوجود وملكوت الغيب والشهود يعطي ما ذكرنا من تصوره بصورة الجسم أيضاً. وهذا مراد الأقدمين، كأفلاطون، من هبوط النفس إلى العالم السفلى، مع أن البرهان يثبت حدوثها من المادة.

وفي كتاب أثولوجيا ورد أن النفس عقل تصور بصورة الشوق. وجاء في هذا الكتاب أيضاً: "إن النفس لما اشتاقت إلى السلوك وإلى أن تظهر أفاعيلها، تحركت من العالم الأول أولاً، ثم إلى العالم الثاني، ثم إلى العالم الثالث، فإن العقل لم يفارقها، وبه فعلت ما فعلت".

☆ المطلع 8

إحاطة العقل المجرد بما دونه من الملك والملكوت،
ليست كإحاطة محسوس بمحسوس، حيث تكون

الإحاطة ببعض الجوانب والأبعاد. بل إن إحاطته تكون من جميع الجوانب، فيحيط بباطنه كما يحيط بظاهره.

وإحاطته تكون بنحو النفوذ والسريان، فلا يشذ عن إحاطته الوجودية وسريانه المعنوي ذرة في السماء والأرض، وهو أقرب إليها من حبل الوريد. بل حضور العوالم عنده أشد وأعلى من حضورها عند

أنفسها.

كل ذلك لأن المادة -التي هي مناط الغيرية والبعد- فيه مفقودة، والماهية -التي هي أصل السوائية- فيه مستهلكة، لا حكم لها أصلاً، بل الحكم للوجود المطلق.

قال معلم المشائين: "إن الحقائق البسيطة تقتضي بذاتها الاستدارة التامة، إلا أن المحيط فيها لا يحوي المركز كما في الدوائر الحسية، بل الأمر في الدوائر العقلية بعكس الدوائر الحسية".

☆ المطلع 9

إن الحقيقة العقلية التامة المجردة حاكمة على ما سواها، من الحقائق العقلية والنفوس الكلية والجزئية الملكوتية والمبدَعات والكائنات الملكية الناسوتية، ترشدها إلى رق الهداية والاستقامة والكمال، وتسوقها إلى بارئها المتعال، وتقودها إلى فناء الرب ذي الجلال. ولولاها لما عُبد الله وما وُحّد وما أطيع.

فالعقل هو الذي أرسله الله إلى سكان جميع العوالم، ليهديها سواء السبيل. فقال له: أقبل على المسجونين في ظلمات العوالم الخلقية من عالمك الأمري، فأرشدهم إلى دار السرور وعالم يغلو فيه النور على النور. فظهر في كل حقيقة بقدر الاستعداد إطاعة لأمر رب العباد، فهداهم إلى عالم الأسرار ودعاهم إلى محفل الأنس ودار القرار.

ثم بعد الإرشاد والهداية، أمره بالرجوع كجميع مظاهره من عالم

الدنيا إلى الغاية القصوى والرفيق الأعلى، فقال له: أدبر. وهذه الحقيقة هي التي أعطاها الله تعالى الجنود في بعض المظاهر المناسبة من عالم القدس لتقاوم جنود الجهل وتتغلب عليها، وتقود الخلق إلى حزب الرحمن.

☆ المطلع 10

وعن الإمام الباقر(ع) قال: "لما خلق الله تعالى العقل استنطقه، ثم **قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر وإياك أنهى، وإياك أثيب وإياك أعاقب**".. صدق ولي الله.

ونحن نشير إلى بعض أسرار هذا الحديث، فنقول:

قوله (ع): **استنطقه** أي جعله ذا نطق وإدراك بنفس جعل ذاته، فإن العلم والإدراك في المبادئ العالية ولا سيما العقل الذي هو أول التعينات عين ذاتها. وهذا نظير قوله تعالى من وجه: ***﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾***. فإن التعليم في ذلك المقام بإيداع صور الأسماء والصفات فيه، لا أنه خلقه مجرداً عن العلم بالأسماء ثم علمه إياها. فإن الإنسان مظهر الاسم الأعظم الجامع لجميع المراتب والأسماء بنحو أحدية الجمع. والعقل أيضاً مظهر علم الحق. فهو عالم في مرتبة هويته ولب حقيقته.

وقوله: **أقبل**. أمر من حضرة الجمع إلى المظهر الأول بظهوره في

جميع مراتب التعينات من عالم الملك والملكوت. فهو النافذ في جميع العوالم بأمر بارئه، ليظهر الكمالات التي في عالم الأسماء، وينشر الخيرات في مراتب الكائنات، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

وقوله (ع): "**ادبر**" أي أدبر عن عالم التفصيل إلى حضرة الجمع بجميع المظاهر إلى الاسم المناسب لمقامك ومقام مظهرك: إما إلى الاسم الرحمن فتثاب أو إلى الاسم المنتقم فتعاقب. فالعقل الظاهر في العوالم النازلة يثاب ويعاقب باعتبار اتحاد الظاهر والمظهر. ومعاد كل شيء بتوسطه، بل بمعاده. فإن الأشياء الكونية لا تعود إلى الحق ما لم تصل إلى العالم العقلي أو تفنى فيه. وإن كان معاد الكل بتوسط الإنسان الكامل الذي كان العقل الكل مرتبة عقله:

"**وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم**".

وقوله (ع): "**ولا أكملتك إلا فيمن أحب**" إشارة إلى أن ظهور العقل في مراتب الموجودات على قدر استعدادهم الذي قدر لهم في الحضرة العلمية بالحب الذاتي. ولولا هذا الحب لما ظهر موجود من الموجودات، ولا وصل أحد إلى كمال من الكمالات؛ فإن بالعشق قامت السموات.

وفي قوله "**إياك آمر وإياك أنهى وإياك أثيب وإياك أعاقب**" بلا تخلل "الباء" إشارة واضحة عند أهل الذوق إلى ما قلنا من أن العقل هو الظاهر وهو الباطن، وهو النافذ في الملك والملكوت، والنازل من مقامه الأرفع إلى المنزل الأدنى، بلا تجافٍ من محله الأعلى ومقامه الأسنى.

★ المطلع 11

في معنى خلافة العقل الكلي في العالم الخلقي:

إن خلافة العقل الكلي خلافة في الظهور في الحقائق الكونية. ونبوته إظهار كمالات مبدئه المتعال، وإبراز الأسماء والصفات من حضرة الجمع ذي الجلال. وولايته التصرف التام في جميع مراتب الغيب والشهود، تصرف النفس الإنسانية في أجزاء بدنها، بل تصرفه لا يقاس بتصرفها فإنه لعدم شوبه بالقوة والعدم والنقصان، يكون أقوى في الوجود والإيجاد والتصرف. فهو الظاهر والحق به الظاهر، وهو الباطن والحق به الباطن.

ولا تتوهمن من هذا التعبير أن ظهور الحق وبطونه تبع ظهور العقل وبطونه، فإن هذا توهم فاسد وظن كاسد، بل الأصل في الظهور والإظهار هو الحق. بل لا ظهور ولا وجود إلا له تبارك وتعالى.

★ المطلع 12

ومما يرشد إلى ما ذكرنا ويهدي الحديث الوارد في عيون أخبار الرضا(ع) عنه عن آبائه عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): **"ما خلق الله أفضل مني ولا أكرم عليه مني.. قال علي عليه السلام: فقلت يا رسول أنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي**

وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا. يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا حواء ولا الجنة والنار، ولا السماء والأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟ لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنّا خلقٌ مخلوقون، وأنه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة ان لا إله إلا الله، وأنّا عبيد، ولسنا بالألهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله؛ فلما شاهدوا كبر محلنا كبّرنا لتعلم الملائكة أن الله تعالى أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به. فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا: "لا حول ولا قوة إلا بالله" لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة الحمد لله. فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله عز وجل وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده. ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون

أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون.

وإنه لما عرج بي إلى السماء أذّن جبرائيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى. ثم قال لي: تقدم يا محمد. فقلت له: يا جبرائيل أتقدم عليه؟! فقال نعم إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على الملائكة أجمعين وفضلك خاصة، قال: فتقدمت فصليت بهم ولا فخر.

فلما انتهيت إلى حجب النور، قال لي جبرائيل: تقدم يا محمد، وتخلّف عني. فقلت: يا جبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمد إن انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزتُه احترقت أجنحتي بتعديّ حدود ربي جل جلاله، فزخّ بي في النور زخّة (فزجّ بي في النور زجّة) حتى انتهيت إلى ما شاء الله من علو ملكه. فنوديتُ: يا محمد. فقلت: لبيك ربي وسعديك، تباركت وتعاليت. فنوديتُ: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك، فإياي فاعبد وعليّ فتوكل، فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي لك ولمن اتبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ولشيعتهم أوجبت ثوابي.

فقلت: يارب ومن أوصيائي؟

فنوديتُ: يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق العرش. فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثني عشر نوراً، في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم مهدي أمتي.

فقلتُ: يا رب هؤلاء أوصيائي بعدي؟

فنوديتُ: يا محمد، هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي. وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك. وعزتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملّكنّه مشارق الأرض ومغاربها ولأسخّرنّ له الرياح، ولأذللنّ له السحاب الصعاب، ولأرقّينّه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي ولأمدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأدعين ملكه ولأدوالنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة".

★ المطلع 13

اعلم أن قوله (ص) **"ما خلق الله خلقاً أفضل مني"**
إشارة إلى أفضليته(ص) في مقام تعينه الخلقي.
فإنه في النشأة الخلقية أول التعينات وأقربها إلى الاسم الأعظم إمام أئمة الأسماء والصفات.

أما في مقام ولايته الكلية العظمى وبرزخيته الكبرى المعبر عنها بالوجود الانبساطي الإطلاقي المستهلك فيه كل التعينات، فلا نسبة بينه وبين شيء لإحاطته القيومية بكل ضوء وفيء، فلا تصح الأكرمية والأفضلية ولا الآخرية ولا الأولية.

قوله (ع): **"فأنت أفضل أم جبرائيل؟"**، إن هذا السؤال وغيره من المقال من مولانا أمير المؤمنين إنما لمصلحة كشف الحقائق لسائر الخلائق. وإلا فهو يستفيد من رسول الله(ص) حقائق العلوم وغيبات

السرائر بمقامه العقلي وشأنه الغيبي قبل الوصول إلى النشأة المثالية، فضلاً عن نزولها إلى الهيئات اللفظية والكلامية. فإن منزلته(ع) منه(ص) - بعد اتحاد نورهما بحسب الولاية الكلية المطلقة - منزلة اللطيفة العقلية(بل الروحية السرية) من النفس الناطقة، ومنزلة الخلائق منه منزلة سائر القوى الباطنة والظاهرة من النفس. فإن لرسول الله(ص) أحدية جمع الحقائق الغيبية والشهادتية، وهو أصل أصول المراتب الكلية والجزئية، ونسبته إلى رعيته نسبة الاسم الأعظم إلى سائر الأسماء. وإن الفيوضات العلمية النازلة من سماء الأحمدية لا تصل إلى الأراضي الخلقية إلا بعد عبورها مرتبة "العماء" العلوية. قال صلى الله عليه وآله: **"أنا مدينة العلم وعلي بابها"**.

ثم إن السؤال عن أفضليته على جبرائيل سؤال عن قاطبة سكنة عالم الجبروت، وليس السؤال مختصاً به.

وليعلم أن هذه الفضيلة ليست فضيلة تشريفية اعتبارية كفضيلة السلطان على الرعية، بل هي فضيلة حقيقية وجودية كمالية، ناشئة من إحاطته التامة وسلطنته القيومية. وكما أن شرافة الاسم الأعظم المحيط بسائر الأسماء ليست تشريفية، كذلك مربوب الاسم الأعظم فله الرئاسة التامة على جميع الأمم السابقة واللاحقة، بل كل النبوات من شؤون نبوته..

قوله(ص): "**والفضل بعدي لك يا علي للأئمة من بعدك**" إشارة إلى أن مرتبة وجود علي والأئمة بالنسبة إلى النبي، كالروح من النفس الناطقة، قال علي(ع): **"كنت مع الأنبياء سراً ومع رسول الله جهراً"**.

ومعيته مع الأنبياء معية قيومية، ولرسول الله(ص) تقومية.

قوله (ص): "**وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا**" شاهد على أن العالم بجميع أجزائه للولي الكامل. وبعض الملائكة من قواه العلاّمة كجبرائيل(ع) ومن في طبقته، وبعضهم من القوى العمّالة كعزرائيل ومن في درجته، وخدمة الملائكة لمحبيهم(ع) أيضاً بتصرفهم عليهم السلام..

قوله (ص): "**والذين يحملون العرش..**". للعرش معاني. والمراد بها هنا جملة الخلق أو الجسم المحيط. وحملته أربعة من الملائكة، وفي الحديث عن الإمام الصادق(ع):

"**حملة العرش - والعرش العِلم - ثمانية: أربعة منا وأربعة ممن شاء الله**".

وفي رواية أخرى عن الإمام الكاظم(ع): "**إذا كان يوم القيامة، كان حملة العرش ثمانية، أربعة من الأولين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى(عليهم السلام)، وأربعة من الآخِرين: محمد وعلي والحسن والحسين(عليهم السلام)**".

قوله (ص): "**لولا نحن ما خلق الله آدم..**" لأنهم وسائط بين الحق والخلق، وروابط بين حضرة الوحدة المحضة والكثرة التفصيلية. وفي هذه الفقرة بيان وساطتهم بحسب أصول الوجود، وكونهم مظهر الرحمة الرحمانية التي هي مفيض أصل الوجود. كما أن الفقرة الآتية "**كيف لا نكون أفضل من الملائكة**" بيان كونهم وسائط بحسب كمال الوجود وكونهم مظهر الرحمة الرحيمية.

فبهم تتم دائرة الوجود ويجري الفيض في النزول والصعود.

ثم إن مقصودنا من نقل الرواية الشريفة بطولها تلك الفقرات التي تبين تعليمهم حقيقة العبودية للملائكة والطريق إليها في النشأة العقلية. وهذا هو حقيقة النبوة.

أصل: في بيان سبقهم إلى معرفة ربهم:

إن العالم العقلي وجودات حية عليمة نورية، بلا تخلل جعل بينها وبين كمالاتها. فكل ما يمكن لها بالإمكان العام واجب التحقق لها. فالسبق إلى معرفة الرب يرجع إلى سبق الوجود، لا أنها وجبت أولاً ثم حصلت على هذا الكمال ثانياً. وهذا السبق هو السبق الدهري المنزه عن الزمان والمكان، وهو السبق بالعلية والحقيقة.

وقوله (ص) "**فأنطقها..**" أي جعل أرواحهم(ع) ذا نطق بعين جعل ذاتها، وتخلل الفاء هنا لسبق الذات على كمالاتها سبقاً بالتجوهر. وبما ذكر من معنى السبق ظهر كونهم وسائط في خلق الملائكة بحسب الوجود، مثلما أنهم وسائط بحسب كمال الوجود.

أصل: إن للتوحيد أربعة أركان، ولكل منها ثلاث درجات. درجة منها ظاهرة، ودرجتان في البطون. والاسم تابع للظاهر منها. كما أن الأمر كذلك في الأسماء الإلهية التي تنقسم بحسب الظهور إلى الأسماء الذاتية، والصفاتية والأفعالية.

الركن الأول هو "**التحميد**". وهو مقام توحيد الأفعال. وهو الدرجة الظاهرة منه. والتوحيدان الآخران (أي الصفتي والذاتي) باطنان فيه. فإن التحميد مقام إرجاع جميع المحامد إلى الله تعالى، ونفي الاستحقاق عن غيره جل وعلا. ولا يتحقق

ذلك إلا بأن يرى العبد أن جميع الأفعال الحسنة وقاطبة العطيات منه، وأن العطايا التي في صورة الكثرة التفصيلية ظهور العطية المطلقة (التي هي المشيئة المطلقة التي هي الوجه الفاني في ذي الوجه). فليس في الوجود جميل ولا فاعل جميل حتى يُحمد على جماله أو فعله سوى الجميل المطلق... وتؤكده "الحوقلة" التي هي مقام نفي الحول والقوة عن غيره..

الركن الثاني هو "**التهليل**". وهو مقام توحيد الصفات. بأن يرى العبد كل جمال وكمال وحسن وبهاء ظهور جمال الحق وكماله. والألوهية هنا هي الألوهية الصفتية لا الفعلية.

والتوحيدان الآخران باطنان في هذا التوحيد.

الركن الثالث هو "**التكبير**". وهو مقام توحيد الذات واستهلاك جميع الإنيات لما ورد في معناه أنه أكبر من أن يوصف، لا بمعنى أنه أكبر من كل شيء لأنه لا شيء هناك. والتوحيدان الآخران في هذا التوحيد مستتران.

الركن الرابع هو "**التسبيح**". وهو مقام التنزيه عن التوحيدات الثلاثة. فإن فيها تكثير وتلوين. وهذا مقام التنزيه والتمكين، وبه يتم التوحيد. وهو توحيد التوحيد.

ففي التوحيد الفعلي يرى السالك كل فعله ظهور فعل الحق. وتنزيهه بأن لا يرى فعل الغير أبداً.

وفي التوحيد الصفتي يرى استهلاك الصفات في صفاته تعالى. وتنزيهه بأن لا يرى صفة أو اسماً في دار التحقق سوى أسمائه وصفاته.

وفي التوحيد الذاتي يرى اضمحلال الذوات لدى ذاته عز وجل. والتنزيه في هذا المقام عدم رؤية إنية أو هوية سوى الهوية الأحدية.

وفي الخبر: **"يا من هو، يا من ليس إلا هو"**. والتوغل الذي ينتج عن كل المقامات والتوحيدات هو عدم رؤية فعل أو صفة حتى من الله تعالى، ونفي الكثرة بالكلية، وشهود الوحدة الصرفة والهوية المحضة الظاهرة في عين البطون والباطنة في عين الظهور. ولا شك بأن الوصول إلى هذا المقام يكون بعد عبور المقامات السابقة.

وإن جعل "التسبيح" في الرواية الشريفة مقدماً على سائر الأركان دلالة على شرفه وعلو قدره على سائر المراتب، مع أنه مناسب لمقام الملائكة ونشأتهم..

إن حظ الملائكة من التوحيدات الثلاثة ليس كحظ الإنسان الكامل. بل لكل منها مقام معلوم لا تتجاوزه.

هذه التعاليم التي وقعت في النشأة العقلية من النبي الكريم وآله الطيبين الطاهرين(ص) هي حقيقة النبوة والإمامة في عالم الأمر الغيبي..

المصباح 3

في أسرار الخلافة والنبوة والولاية في النشأة الخلقية الظاهرة وسر بعث الأنبياء(ع) ومنزلتهم من نبينا وآله(ص).

* وميض 1

إن للأسماء الإلهية محيطية ومحاطية. فرب اسم يكون محيطاً بالأسماء الجمالية كالرحمن. ورب اسم إلهي يكون محيطاً بالأسماء الجلالية كالمالك. ومرتبة الجامعية المطلقة هي للاسم الله، فهو الاسم المحيط التام الأعظم، وغيره من الأسماء حتى الأمهات منها، لا يكون بهذه الإحاطة.

✱ وميض 2

وقد عرفت أيضاً أن ظهور الأعيان الخارجية إنما يكون حسب اقتضاء الأسماء الإلهية وفق نظام العلم الربوبي والأعيان الثابتة. فلكل حقيقة من حقائق الأسماء الإلهية رقيقة تكون مظهرها في العالم الغيبي. وحكم الظاهر والمظهر سواء في السنّة الإلهية.

فما هو مظهر الرحمن تكون الرحمة فيه غالبة، ويكون محيطاً على سائر المظاهر اللطيفة والجمالية وحاكماً عليها. وما كان مظهر المالك واجد كذلك بالنسبة للمظاهر القهرية. فوجب لا محالة بحكم القضاء الإلهي السابق والعناية الرحمانية وجود خليفة جامع لجميع الصفات الربوبية وحقائق الأسماء الإلهية، ليكون مظهراً للاسم الله الأعظم.

وبالجملة لما كان كل ما في الكون آية لما في الغيب، لا بد وأن يكون لحقيقة العين الثابتة الإنسانية (المحمدية) ولحضرة الاسم الأعظم مظهر في العين، ليظهر الأحكام الربوبية ويحكم على الأعيان الخارجية حكومة الاسم الأعظم على سائر الأسماء والعين الثابتة للإنسان الكامل على بقية الأعيان. فمن كان بهذه الصفة يكون خليفة في هذا العالم، مثلما كان الأصل كذلك.

✻ وميض 3

وكما أن الاسم الأعظم كان جامعاً لجميع مراتب الأسماء بنحو البساطة، وكان عالماً بحقائقها بعلمه بذاته، وعالماً بصورها في الحضرة العلمية والكون العيني، وقيامتها التي هي استهلاكها تحت سطوع النور الربوبي ورجوعها إلى مظاهرها، فإن الأعيان الثابتة ينمحق نورها في الأعيان الخارجية، والعين الثابتة المحمدية في الأعيان الثابتة، والاسم الأعظم في الأسماء الإلهية.

كذلك الاسم الإلهي الأعظم الموجود في النشأة الظاهرة جامع لجميع مراتب الأسماء وحقائق الأعيان، ويرى الأشياء كما هي برؤية ذاته. ويرى كيفية ارتباطها بالأسماء الإلهية، ووصولها إلى أربابها في القيامة الكبرى التي هي حقيقة ليلة القدر المحمدية.

✻ وميض 4

وكما أن الأسماء المحيطة حاكمة على الأسماء التي تحت حيطتها وقاهرة عليها، وكل اسم كانت جامعيته أتم وحيطته أكثر، كان حكمه أشمل ومحكومه أكثر إلى أن ينتهي الأمر إلى الاسم الأعظم الذي يكون محيطاً بالأسماء كلها، كذلك الأمر في المظاهر طابق النعل بالنعل. فإن العالم نقش ما في

الأسماء الإلهية.

فسعة دائرة الخلافة والنبوة وضيقها في عالم الملك تكون بحسب إحاطة الاسم الحاكم على صاحبه (الخليفة والنبي). وهذا سر اختلاف الأنبياء(ع).. إلى أن ينتهي الأمر إلى مظهر الاسم الأعظم فتكون خلافته باقية دائمة محيطة أبدية حاكمة على سائر النبوات.

ودورة نبوات الأنبياء دورة نبوته وخلافته، وهم مظاهرها. ودعوتهم في الحقيقة دعوة إليه وإلى نبوته "**آدم ومن دونه تحت لوائي**". فمن أول ظهور الملك إلى انقضائه وانقهاره بسطوع نور الواحد القهار، تكون دورة خلافته فيه.

✱ وميض 5

ومما مر يمكن فهم قول مولى الموحدين أمير المؤمنين(ع): "**كنت مع الأنبياء باطناً ومع رسول الله ظاهراً**"، فإنه صلوات الله عليه صاحب الولاية الكلية المطلقة، والولاية باطن الخلافة فهو مع كل الأشياء معية قيومية ظلية للقيومية الحقة الإلهية، إلا أن الولاية لما كانت في الأنبياء أكثر من باقي الأشياء خصهم (ع) بالذكر.

✱ وميض 6

عن الشيخ العارف القمي في البوارق الملكوتية:

"إن الحقائق الخارجية في حال غيبتها تحت أستار الأسماء سألت تلك الأسماء سؤال افتقار وقالت: إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضاً، وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا، لكنتم أنعمتم علينا، وأمكن لنا أن نقوم بحقوقكم، ولكانت سلطنتكم متحققة، واليوم أنتم سلاطين علينا بالقوة من دون جنود ولا عدة، فهذا الذي نطلبه منكم أكثر لكم مما في حقنا.

فلما سمعت الأسماء الإلهية مقالة الحقائق الغيبية، نظرت في ذوات أنفسها، وصدقت الممكنات، وطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها. فإن "**الخلاق**" و"**المدبر**" وغيرهما نظروا في ذواتهم، فلم يروا خلّاقاً ولا مدبراً، ولا غير ذلك. فجاءت تلك الأسماء إلى حضرة الاسم "**البارئ**"، فقالوا له: عسى أن توجد أنت هذه الأحكام التي اقتضت حقائقها. فقال البارئ: ذلك راجع إلى الاسم "**القادر**" فإني تحت حيطته فالتجأوا إليه، فقال القادر أنا تحت حكم "**المريد**" فلا أوجد عيناً منكم إلا باختصاص وليس ذلك إلا بتخصصه وأن يأتيه أمر من ربه، فحينئذٍ أتعلق أنا بالإيجاد. ففزعوا إلى "**المريد**"، وذكروا له مقالة "**القادر**" فقال المريد صدق القادر، ولكني أنظر إلى أنه هل سبق العلم من الاسم "**العليم**" بظهور آثاركم، فأخصص أنا ما شاء الله من

أحكامكم، فأني تحت حكمه. فصاروا إلى الاسم "**العليم**". فقال: قد سبق العلم بإيجادكم، ولكن الأدب أولى، وليس الأمر هنا بمحض الافتقار، بل لا بد من الإذن مرة بعد أخرى. وإن لنا كلنا حضرة مهيمنة علينا وهي الاسم "**الله**".

فاجتمعت الأسماء إلى الحضرة الإلهية، فذكروا له قصتهم وأظهروا ما اقتضت حقائقهم. فقال: حقاً أقول أنا اسم جامع لحقائقكم، مشتمل على مراتبكم، وإني دليل على الذات المقدسة وحضرة الأحدية، فمكانكم أنتم ورفقائكم حتى أعرض عليه مقاصدكم. فقال: يا من هو، يا من لا هو إلا هو، قد اختصم الملأ الأعلى وقالت الأعيان هكذا.. فنودي من سره "أن أخرج عليهم وقل لكل واحد من الأسماء ما يتعلق بما تقتضيه حقيقته". فخرج الاسم "**الله**" ومعه الاسم "**المتكلم**" يترجم عنه للممكنات والأسماء الإلهية وذكر لهم ما أمره المسمّى. فتعلق العالم بظهور الممكن الأول والقادر بظهور الممكن الثاني والمريد بسائر الأعيان. فظهرت الأدوار والأكوان.

وأدى الأمر إلى المنازعة والمخالفة، كما هومقتضى الأسماء الجمالية والجلالية. فقالت الأعيان: إنا نخاف أن يفسد نظامنا، أو يطغى بعضنا على بعض، ونلحق بالعدم الذي كنا فيه. فالتجأوا تارة أخرى إلى الأسماء بتعليم من الأسماء "**العليم**" و"**المدبر**". وقالوا: أيها الأسماء التي لكم السلطنة علينا، وإن كان أمركم على ميزان معلوم وحد مرسوم بأن يكون فيكم إمام يخفضنا ويخفض تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم. فسمعوا ذلك والتجأوا إلى الاسم "**المدبر**". فدخل "**المدبر**" إلى

المسمّى، وخرج بأمر الحق إلى الاسم "الرب" فقال له: صدر الأمر أن تفعل أنت ما تقتضيه المصلحة في بقاء الممكنات . فقال: سمعاً وطاعة. وأخذ وزيرين يعينانه على مصالحه، هما "**المدبر**" و"**المفصل**". قال الله تعالى: ﴿***يدبر الأمر ويفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون***﴾ .

✱ ومیض 7

ومن معرفة ما مر في المصابيح والأنوار السالفة يمكن فهم ما أرمزه هذا العارف دون الوقوف عند ظواهرها أو الوقوع في حجبها.

✱ ومیض 8

إن ما ذكر من أسرار يرجع إلى منهجية خاصة هي إرجاع المسببات إلى أسبابها، وعطف الأمور على أربابها. فهو النهج الذي ينظر إلى البدايات والمبادئ. كما ألمح العارف الأنصاري "الجميع يخشى النهايات وأنا خوفي من البدايات". فهذا مذاق العارف الذي يتذكر العهد الأزل والقضاء الأول.

وأما على المنهج الآخر الذي يرتب ظهور الحقائق الإلهية في هياكل الأولياء المقدسين فطور آخر من الكلام. لعله يقوم على أساس السفر من أخيرة مراتب الوجود نزولاً وشهود الأعيان الخارجية ابتداءً - الذي هو حاصل الكل - إلى أول مراتبه، بل حقيقة وجوده.

وميض 9

قال العارف الشيخ القمشه أي في رسالته حول الأسفار الأربعة ما ملخصه:

"اعلم أن السفر هو الحركة من الموطن نحو المقصد بطي المنازل. وهو على قسمين صوري ومعنوي. والمعنوي أربعة:

السفر الأول: السفر من الخلق إلى الحق، وذلك برفع الحجب الظلمانية النفسانية والنورانية العقلية والروحية، أي بالارتقاء من المقامات الثلاثة برفع الحجب الثلاثة.

فإذا رفع الحجب شاهد جمال الحق وفني عن ذاته. وهذا هو مقام الفناء. ويصير وجوده حقانياً، ويعرض له المحو، وقد يصدر عنه الشطح، فيُحكم بكفره. فإن تداركته العناية الإلهية يزول المحو، فيقر بالعبودية بعد الظهور بالربوبية.

ثم يأخذ بالسفر الثاني: وهو السفر من الحق إلى الحق بالحق. وإنما يكون بالحق لأنه صار ولياً ووجوده حقانياً، فيسلك إلى الكمالات حتى يعلم الأسماء كلها، إلا ما استأثر منها. وتصير ولايته تامة، وتفنى ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الحق وصفاته وأفعاله، وفيه يحصل الفناء عن الفناء أيضاً وتتم دائرة الولاية.

السفر الثالث: وهو من الحق إلى الخلق. ويسلك في هذا

الموقف في مراتب الأفعال، ويحصل له الصحو التام ويبقى ببقاء الله، ويسافر في عوالم الجبروت والملكوت والناسوت. وينال حظاً من النبوة. وليس له نبوة التشريع.

السفر الرابع: وهو من الخلق إلى الخلق بالحق. فيشاهد الخلائق وآثارها ولوازمها، فيعلم مضارها ومنافعها، ويعلم كيفية رجوعها إلى الله وما يسوقها، فيخبر بها وبما يمنعها، فيكون نبياً بنبوة التشريع"..

✱ وميض 10

إن السفر الأول من الخلق إلى الحق مقيد برفع الحجب التي يعبر عنها بجنبة يلي الخلقي، ورؤية جمال الحق بظهوره الفعلي، الذي هو في الحقيقة ظهور الذات في مراتب الأكوان. وبعبارة أخرى بانكشاف وجه الحق لديه. وآخر هذا السفر رؤية جميع الخلق مظاهر الحق وآياته.

والسفر الثاني من الحق المقيد إلى الحق المطلق، حيث تضمحل الهويات الوجودية عنده، وتستهلك التعينات الخلقية بالكامل لديه، وتقوم قيامته الكبرى بظهور الوحدة التامة، ويتجلى له الحق بمقام وحدانيته، وعندها لا يرى الأشياء أصلاً، ويفنى عن ذاته وصفاته وأفعاله.

وفي هذين السفرين، لو بقي من الأنانية شيء، يظهر له شيطانه الذي بين جنبيه بالربوبية ويصدر منه الشطح. والشطحيات كلها من

بقاء الإنية والأنانية.

ثم إن شملته العناية الإلهية – مقام تقدير الاستعدادات – أرجعته إلى نفسه، فيأخذ بالسفر الثالث. وهو من الحق إلى الخلق الحقي بالحق. أي من حضرة الأحدية الجمعية إلى حضرة الأعيان الثابتة، وعندها تتكشف له حقائق الأشياء وكمالاتها وكيفية تدرجها إلى المقام الأول ووصولها إلى وطنها الأصلي. فلا يكون في هذا السفر نبياً مشرِّعاً لأنه لم يرجع إلى الخلق في النشأة العينية.

ثم يأخذ بالسلوك في السفر الرابع، وهو من الخلق الذي هو الحق – من حضرة الأعيان الثابتة – إلى الخلق – أي الأعيان الخارجية – بالحق – أي بوجودها الحقاني. مشاهداً جمال الحق في الكل، عارفاً بمقاماتها التي لها في النشأة العلمية، عالماً طريقة سلوكها إلى حضرة الأعيان فما فوقها، وكيفية وصولها إلى موطنها الأصلي.. وفي هذا السفر يشرّع ويجعل الأحكام الظاهرة القالبية والباطنية القلبية، ويخبر وينبئ عن الله وصفاته وأسمائه والمعارف الحقة على قدر استعداد المستعدين.

* وميض 11

وليعلم أن هذه الأسفار الأربعة لا بد وأن تكون لكل مرسل مشرِّع. ولكن المراتب مع ذلك متفاوتة والمقامات متخالفة. فإن بعض الأنبياء والمرسلين من مظاهر اسم

الرحمن مثلاً، فيشاهد في السفر الأول الرحمن ظاهراً في العالم، وينتهي سفره الثاني باستهلاك الأشياء في الاسم الرحمن، ويرجع بالرحمة والوجود الرحماني إلى العالم، فتكون دورة نبوته محدودة. وهكذا مظاهر سائر الأسماء. حتى ينتهي الأمر إلى الاسم الله، فإن مظهره يشاهد في آخر سفره الأول الحق بجميع شؤونه ظاهراً، ولا يشغله شأن عن شأن. وآخر سفره الثاني باستهلاك كل الحقائق في الاسم الإلهي الجامع، بل استهلاكه أيضاً في الأحدية المحضة. وهو يرجع إلى الخلق بوجود إلهي جامع، وله النبوة الأزلية الأبدية والخلافة الظاهرة الباطنية.

* وميض 12

إن هذه الأسفار قد تحصل للأولياء الكمل أيضاً، حتى السفرالرابع، فإنه حصل لمولانا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. إلا أن النبي(ص) لما كان صاحب المقام الجمعي، لم يبق مجالاً لأحد من المخلوقين من بعده للتشريع. فلرسول الله(ص) هذا المقام بالأصالة ولخلفائه المعصومين(ع) بالتبعية.



خاتمة ووصية

لا ينبغي كشف هذه الأسرار لمن لا يقدر على فهمها. فإن كل من اعتاد ذهنه على تصور الحقائق بالصور الخيالية والقوالب المادية لن تزيده هذه المعارف النورانية إلا خساراً.

وكذلك حرمان من هو لائق مستعد خلاف الحكمة. كما روي عن نبينا عيسى(ع): **"لا تعلموا الحكمة الجهال فتظلموها ولا تحرموها أهلها فتظلموهم"..**